

بيار کورنای

السید

تعدیب

خلیل مطران

دارما روت عبود



Bibliotheca Alexandrina



0148488

السيد



بيماركورتساي

Organization of the Alexandria L
Publications Alexandria

السيرة

تعريب

خليل مطران

المركز القومي لكتبة الاسكندرية	
862	رقم الكتاب
لغوي	العنوان
10242	رقم التصنيف

دار مارون عبود

الطبعة العاشرة

١٩٨١

جميع الحقوق محفوظة

لدار مارون عبود

بيروت

كتب للمؤلف

ديوان الخليل
المختارات
إلى الشباب
من ينابيع الحكمة والأمثال
٤ أجزاء
جزءان

معرب عن شكسبير :

تاجر البندقية
عطيل
مكبث
ملت

عن كورنابي :
بوليوكت
السيد
سنّا

عن فيكتور هيفو :
هرنابي

كتب نفذت

مراثي الشعراء في رثاء محمود سامي البارودي
مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام
صدى الرثاء في سليم بك سيدناوي
الفلاح - مترجمة عن يوسف نحاس
الموجز في علم الإقتصاد
ديوان ابن قلاص
تربية الإرادة
بشارة تقلا.

تحت الطبع

الجزء الخامس من الديوان

مقدمة

«السيد» هي التمثيلية الفرنسية التي أجمع النقاد والدارسون على اعتبارها فاتحة العصر الذهبي في تاريخ المسرح الفرنسي .
قبلها ، كان هذا المسرح يفص بالتقليد البائخ ، والمحاولات الفاشلة ، والتهريج البعيد عن سلامة الذوق والقيم الأدبية .
وبعدها ، سار التمثيل المسرحي مُصعداً الى ذرى الابداع مبنى ومعنى ، فكانت تلك النهضة التي شهدتها فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد اتسع اشعاعها فشمل اوروبا والعالم .

أبرز المعلومات المتداولة أن الشاعر كورناي استقى موضوع «السيد» من تمثيلية اسبانية وضعها «غيليم دي كاسترو» عنوانها «شباب السيد» ، ولكن الفوارق عديدة بين التمثيليتين :
- فالسيد الاسباني مغامر عنيف يعتمد البطش والضراوة .

والسيد الفرنسي يتحلى بالنبل ، والانفة ، وروح الفروسية على المستوى الأرفع .

— والسيد الاسباني غضوب ، أهوج ، شديد النزق ، يذود عن شرفه ذوه الضيفم عن فريسته . والسيد الفرنسي مثال الفارس اللطيف ، المهذب ، الأنيق ، الشجاع .

وبين التمثيليتين فوارق فنية ومسرحية أيضاً :

— فمسرحية كاسترو تتألف من ثلاثة فصول: الأول يستغرق يوماً ، وكل من الثاني والثالث يستغرق شهوراً عديدة . بينما مسرحية كورنابي تتوالى على خمسة فصول محصورة كلها في يوم واحد .

— في مسرحية كاسترو ، يستدعي دون دياغ أبناءه الثلاثة ، ويلوي معاصمهم فيعتصرها على التوالي لاختبار صلابتهم ، فيثن الأول ، ويشكو الثاني ، فيطردهما الوالد المهان . أما الثالث ، رودريغ ، فيثبت رابط الجأش . فينقض الوالد على المعصم نهشاً . يعضه حتى يدميه . فينتفض الفق غاضباً ويهدد . عندئذ يمهّد إليه أبوه بمهمة الانتقام .

وقد صرف كورنابي النظر عن هذه التفاصيل المثيرة ، لعله أنها تناقض ما كان المجتمع الفرنسي قد بلغه آنذاك من حسن الذوق ورهافة الشعور .

وهناك فوارق في الاسلوب الفني والمرمى الخلفي :

– فكاسترو يحاول إحراز إعجاب المشاهدين ، و كورناي يحاول تثقيفهم . الأول يريد الإثارة بعنف الحوادث ، والآخر يريد تصوير الطباع والأخلاق تصويراً غنياً بالامثولات والعبر .

ان جوهر «السيد» في تمثيلية كورناي هو الصراع ، في نفس كل من رودريغ وشيمان ، بين الحب والواجب : الحب النبيل ، الأنوف ، والواجب المشبع بروح الكرامة والشرف .

ومن الطبيعي أن يكون الحب شديد الاحتماد والفعالية في نفس الشباب المتحابين على تفاهم واحترام متبادل ، إلا أنه لا يقوى على زحزحة الواجب قيد أنملة .

وهذا هو الطابع الذي تميز به مسرح كورناي في مختلف مراحلها .

ولعل أهم ما في هذه المسرحية انها رائدة . فهي الاولى في عصر عطاء فياض ، وإبداع ما يزال حتى اليوم منهلاً للادباء والمتأدبين . فعقدة الرواية بارعة الحبك ، ومدارها طبيعي التسلسل ، فيه من المفاجآت ما يُثير ولا يُستغرب ، وما يبعث التعجب في نطاق المقبول والمعقول .

ثم هناك الدقة في تحليل الطباع والأخلاق ، حتى لكأنك تلمس أعماق الأبطال المتحركين على المسرح ، وتعايشهم ، وتدرك خفاياهم عبر أقوالهم وحركاتهم ، وحتى صمتهم .

وهناك الشعر الكورنيلي البالسغ العظيمة ، كأنه مُسك من

ذهب ، او نُصب في قالب المبقرية التي تجعل من الكلمات آياتٍ
بيّنات ، وأمثلاً تحيا على مدى الزمان .

وهذا النوع من الشعر غني بالموسيقى ، سائغ الألفاظ ، ينطبع
في الذهن انطباعاً عميقاً راسخاً لا يحوه مرور الأيام ، لما فيه
من جذور الحياة ومعدنها الأبدي .

فالمشاهد المهمة تبدأ دائماً بأبيات تجتذب ، وتفرض نفسها ،
وتستقطب الانتباه :

– أخيراً ، لقد انتصرت !

– رودريغ ! أشجاع أنت ؟

– إليّ ، أيها الكونت ... لي كلمتان !

– مولاي ، مولاي ! عدلك !

– ماذا ؟ رودريغ في وضع النهار ؟

ويجري بك السياق مليئاً بالحمية ، حافلاً بالحركة ودفق
المعاني ، كأنه يتفجر من ينبوع ، فتتقاد اليه طائماً ، مرتاحاً ،
مأخوذاً بما ترى وتسمع ، وتكاد تلمس .

بهذه الجملات الفنية والفكرية احتلت تمثيلية السيد المرتبة
الأولى ، وما تزال . مما جعل بول البيير يقول : « انها ، من بين
تمثيلات كورناي ، فسرت أقل من كل لاحقاتها ، فسا برحت
تعجب الجماهير حتى الإثارة » .

أما سانت بوف، وهو الشهير بالقسوة والمزوف عن المسائرة،
فقال : « السيد هي انتاج شباب ، وبداية جميلة لرجل ، وبداية
عهد جديد للشعر ، وفاتحة عصر مجيد . فالأبيات الشعرية فيها
تتوالى عفويًا لدى كل خطوة . انها زهرة خالدة من الحب
والشرف » .

« وقال نيزار : « في هذه التمثيلية سحر عجيب من الشباب
والحب ! »

ولا ريب في انها جديرة بهذا القدر ، وبأن تبقى بين أيدي
الدارسين والمتأدين .

نظير عبود

أشخاص الرواية

دُن فرناند	: ملك مقاطعة قشتالة
دن دياج	: والد « لذريق » ومرشد أمير قشتالة
دن غوميز (الكنت)	: سيد مقاطعة جورماس ووالد « شيان »
دن ردريك (لذريق)	: حبيب « شيان » ويود الاقتران بها
دن سنش	: ينافس « لذريق » في حب « شيان »
دن أرياس دن ألسنس	شريفان من أشراف المقاطعة

السيدات

دونا اوراك	: بنت الملك دن فرناند ملك « قشتالة » وتنافس « شيان » في حب « لذريق »
شيان	: بنت « الكنت دن غوميز »
ليوفورة	: مربية « بنت الملك »
القيرة	: مربية « شيان »
وصيف	

- القرن السابع عشر -

الفصل الاول

المشهد الأول

شيان ، الفيرة

شيان : أي الفيرة ، هل خبّرني الخبر اليقين ، ولم تخفِ عليّ شيئاً
مما قاله أبي ؟

الفيرة : كل جوارحي ما زالت تهتزّ طرباً لما سمعته منه ، وان مكان
لدريق من رعايته مكانه من حُبِّك ، فألم أكن قد
خُذعت في استطلاع طلع^(١) نفسه ، فهو سيتقدم اليك بأن
تجيئيه الى هواه .

شيان : إذن أعيدي عليّ ، ولك الشكر ، ما استدلتِ منه على أنه

طلع : باطن .

يستصوب اختياري ، ثم زيديني علماً بما أنوط به أملي ،
فليس هذا الحديث العذب مما يمج تكراره ، وما من بشرى
أحب إليّ وإلى من أحب ، من بشرى انطلاق اللواعج^(١)
الكئينة فينا يوماً ، وشبوبها في الرائحة^(٢) . وبم أجابك عن
المنافسة اللطيفة التي يتنافسها لديك دن سنش ودن لذريق ؟
أولم تُظهري له ، بما ينفي كل ريب ، ما بينهما من تفاوت
يجنح بي الى احدهما ؟

الفيرة : لا ... بل وصدفتك له وصف الواقفة منها موقفاً لا يشيد
أملًا ولا يهدم أملًا ، والناظرة اليهما نظرات لا مجافية ولا
مواتية ، ترقب أمر أييها في اصطفاء قرين لها . ولقد سرته
منك هذه الرعاية لشأنه سروراً تجلت آياته وشيكاً على فمه
ومحيّاه . وما دمت مشوقة الى سماع ما أردده من هذا
الحديث فدونك ما قاله لي عاجلاً عنك وعنهما : « هي في
حد الواجب ، وكلاهما كفء لها ، كلاهما من عنصر كريم
فيه الشجاعة والوفاء وكلاهما مقتبل الشباب ، تتلألأ في

(١) اللواعج : الهوى المحرق .

(٢) الرائحة : الاول .

عينيه زواهر الفضائل التي تحلى بها أجداده الأمثلون ،
أخص بالذكر دن لذريق ، فما من مخيلة في وجهه إلا وهي
أجل صورة لمروءته ، تحدّر من أصل كثر فيه عديد
أحلاس^(١) الحرب، حتى لكانهم يولدون بين أغصان الغار،
أبوه تفرّد في زمانه ، بين أقرانه الصناديد ، ببأس لزمه ما
لزمته قوته ، فضربت به الأمثال ، خطت معاركه آياتها
غضون جبهته ، فهي تحدثنا الى اليوم عما كان شأنه في
عصره ، ورجائي أن أرى من الولد ما رأيت من والده ،
فلا حرج على بنيّتي من قبلي أن تمنحه هواها . قال هذا
وقد حانت ساعة انصرافه الى المجلس ، فقطعت ذلك
الحديث قبل مضيّه فيه ، ولكنني أستخلص من هذه
الكلمات القلائل أن فكره غير متردد كثيراً بين الخاطبين.
ينظر الملك اليوم في اختيار مرشد لابنه، والى أبيك سيسند
هذا المقام السامي ، ذلك لا ريب فيه . فان لم يكن له نظير
في البأس والاقدام فهو اليوم بلا مناظر ، وحقيق به أن
يقلد ذلك المنصب. ولما كان دن لذريق قد أقنع أباه بمفاتحة

(١) أحلاس : الشجاع الذي يلزم بيته .

أبيك في هذا الشأن عند انفضاض المجلس ، فاعتبطني بحسن
انتهازه للفرصة ، وابتهجي بتحقيق آمالك عن كذب .
شيان : بيد أنه يغشى نفسي من الريب ما يغشى ، فهي تخشى هذا
السرور ، وتنوء بوقره .

قد تطرأ طارئة بنت ساعتها تغير وجوه الأقدار .
وانتي لأوجس خيفة من فشل كبير ينجلي عنه هذا
السعد الكبير .

الفيرة : سترين كيف تتجلي خشية الفشل عن برد الأمل .
شيان : هلمي بنا نرقب المصير ، وليكن ما يشاء الله .

المشهد الثاني

بنت الملك ، ليونورة ، وصيف

بنت الملك : إذهب يا وصيف الى شيان من قبلي ، ونبهها الى أنها اليوم
تباطات عن زيارتي ، وأبلغها أن مودتي تأخذ عليها تمهلها .
(يتوارى الوصيف)

ليونورة : مولاتي... تجدد بك الرغبة كل يوم، فتسألين شيان ما لقيتها
عما أفضت اليه في غرامها .

بنت الملك : لا أسألكم لغير ما سبب، أنا التي أهدفتها أو كادت للسهم التي
أدمت مهجتها ، فهي تحب دن لذريق وأنا التي أهدته اليها،
وعلى يدي تمكن أن يستنزلها من معتصمها . فأما وقد
أبرمت بينهما أسباب هذا الغرام ، فيعنيني أن أرى نهاية ما
يكابدان من الجوى .

لبونورة : على انك يا مولاتي كلما لاحت بارقة نجاح تبدين أسفا حتى
يعود جزعا ، فهل ذلك الحب الذي يملأ قلبها جذلا يوقد
في قلبك جذوة تمس الصميم ؟ وهل تلك العناية السمحة بها
تشقيق في حين تسعدها ؟ اراني قد جاوزت حدي ،
وأفضيت الى الفضول .

بنت الملك : يضاعف حزني انني لا أبوح به . أصغي إلي - نفيدي
صبري - واعلمي أي جهاد جاهدت ، وأي كفاح ما زلت
أكافح حتى لا تخونتي عزيزتي . الغرام طاغية لا يبقى على
احد ، وهذا الفارس المقتبل الشباب ، هذا العاشق الذي
أهديه الى سواي أحبه .

لبونورة : تحبينه !!

بنت الملك : ضعي يدك على قلبي ، وتحسسي كيف يخفق لذكري مالكة
وكيف يعرف سلطانه عليه .

ليونورة : اغتفري لي يا مولاتي أنت أتخطى واجب الاجلال ،
وأخطئك في هذا الهوى . أتتأدى اميرة عظيمة في تناسي
مقامها حتى تفسح مكاناً في قلبها لفارس من عامة الفرسان ؟
وماذا يقول الملك ؟ وماذا تقول قشتالة ؟ أتذكرين ، أم
غاب عنك بنت من انت ؟

بنت الملك : أذكر ذلك، ولن يغيب عني أو أسفك دمي قبل ان أسف^(١)
الى ما دون منزلتي ، على انني لو التمسست المعاذير لصبوتي
لأجبتك بأن من أبلغته نفسه العلياء حقيق بأن يقع له من
ذوات النفوس الزكية ما لا يقع منهن لأنداده بالناسب ،
ولاستعنت بالفمثل شهير على الترخص في هذه الاستباحة ،
غير أنني لا أريد ان اقتدي بقدوة تمس شرني، ولن امكّن
سورة حواس من التغلب على إباتي ، بل اقول لنفسي في
كل أن انني بنت ملك وان كل رجل ما لم يكن رب تاج غير
كفاء لي . فلما وجدت ان قلبي قد اوشك ان يفقد منعه ،
اعطيت بيدي ما لم اكن لأجسر على اخذه بيدي ، فجعلت
شيان بمكاني منه ، وقيدتها بقيوده ، وأوقدت نيرانها

(١) أسف : دنا .

لأطفئ نيرانى ، فلا تعجبنى من ان نفسى المعذبة ترقب
قرانها بذهاب الصبر .

ومن ثمّ ترين ان راحتى بعد اليوم منوطه بهذا الزواج .
يحيا الحب بحياة الأمل ، ويموت بموت الأمل .

هو ضرام^(١) يأكل نفسه ان لم يجد ما يأكل . لشد ما
أعانيه من تبريح المحنة التى انا فيها ، فإذا عُقد لشيان على
لذريق يوماً قضي على أملى ، وشفى عقلى .

على اننى فى هذه الأثناء أكابد ما لا تدركه الظنون ،
والى ان يتم ذلك القران سيظل لذريق هواي ، اعلم لفقده ،
وأجزع لفقده ، ومن هنا مبعث شجونى ، وان اخفتها
شؤونى .

فواحرّ قلباه من الغرام ، يصعد انفاسى الحرّى
شوقاً الى من ازدرىه ، اشعر بقلبي وقد انشقّ شغافه ،
فشطر بالشجاعة علا ، وشطر بالصباة استعر .

هذا الزواج قضاء علىّ فاخشاه وأتمناه ، وغاية ما أمل
منه ليس إلا سروراً منقوصاً .

(١) ضرام : دقيق الخطب .

شرفي وحببي يتنازعان لبي .
وسواء عليّ أتم ذلك القران أم لم يتم ، فان نهاية حياتي
احدى النهايتين .

ليونورة : بعد هذا يا مولاتي لم يبق لي ما اقول سوى انني اجد ما
تجدين وأخذ من حزنك بنصيب .

كنت لك عاذلة فأصبحت عاذرة . وما دام في هذا
المعترك العذب المرير لك جلد تدرأين به صدمات الهوى ،
وتبطلين سحره ، فهو سيعيد اليك صفاءك ، ويجمع شتيت
أفكارك ، فارجي منه كل خير بمعونة الزمن ، وارجي كل
خير من الله جلّ عدله عن الإغضاء عنك طويلا ، وأنت
تعانين ما تعانين في الذود عن عرضك .

بنت الملك : أشهى رجاء إلي هو ان ابقى بلا رجاء .

الوصيف : امثالا لأمرك حضرت شيان .

بنت الملك : (الى ليونورة) اذهبي واجلسي اليها في هذا الرواق .

ليونورة : أتبغين ان تمضي في هيام فكرك ؟

بنت الملك : لا ، وإنما أبغي على الكره مني خلوة يسيرة لتطرية وجهي
وسالحي بك .

يارباه . من أية يد أستمد دوائى ، أدركنى من شقوة
 تمادت ورقه عني . أعد إليّ السكينة ، وأيد شرفي . أنا
 أنشدُ سعادتي في سعادة غيري . نحن ثلاثة يعنهم هذا
 القران في آن ، فعجل تحقيقه أو شدّد عزيمتي ، فان ارتباط
 هذين العاشقين برابط الزواج يحطم قيودي ويمسح آلامي .
 أبطأت على شيان فلامض للقاءها ، ولأروح عني بمحدثي
 معها .

المشهد الثالث

الكنت ، دن دياج

- الكنت : لقد آل اليك الحظ الأوفر، ورفعتك نعمة الملك الى منصب
 كنت انا الأحقّ به ، فجعلك مرشداً لأمير قشتالة .
- دن دياج : هذا الشرف الذي أكرم به أسرتي يدل على انه عادل ،
 ويقدر ما قدمت من الخدمة حق قدره .
- الكنت : مهما يكن الملوك كباراً فهم ونحن شيء أحد ، يجوز ان
 يخطئوا كما يخطئ سائر الأنام ، وهذا الاختيار دليلاً لنى

جميع المقربين على ان الملوك لا يحسنون جزاء الخدم
العتيده .

دن دياج : لندع الكلام في اختيار يثير بك الحفيظة ، فقد يكون عن
عطف ، وقد يكون عن جدارة ، وعلى الحالين يجدر بنا ،
إجلالاً للسلطان المطلق ، ألا نبحت في أمر وقد أراده
الملك . أتريديني شرفاً على الشرف الذي اضافه إلي الملك
فتصل بين بيتي وبيتك بصلة مقدسة : ليس لك إلا بنت ،
وليس لي إلا ولد .

فاذا اقترنا سميت صداقتنا الى قربي لا تنفصم . أو لنا
هذا الفضل واتخذ ولدي صهرآ لك .

الكنت : حقيقٌ بهذا الشاب الجميل ان ينظر الى ما هو أسمى، وخليق
بالبهرج الجديد الذي زانك به منصبك ان يشغل قلبه
بمطمع ، فامضِ في شأن منصبك يا سيدي ، وارشد الأمير ،
أرِه كيف يصرف شؤون دولته ، ويخضع شعوباً عن يدي
لأحكام قانونه، ويفعم قلوب الأخيار محبة، وقلوب الشرار
رهبه. ثم اصف الى تلك الفضائل مزية قائد الجيوش فيبين
له كيف يجب ان يصبر على المكاره، وأن يتفوق على الأنداد
في صناعة القتال ، وان يقضي الأيام والليالي الطوال على

صهوة جواده ، وأن يستريح مثقلاً بأسلحته ، وأن يخترق
الأسوار ، وأن يأبى النصر إلا وهو كاسبه .
درّبه بقدوتك ، وأبلغه الى الكمال ، شارحاً له دروسك
بوقعات يشهدها ، وشواهد منك تؤيدها .

دن دياج : حسبه اسوةً - وان كره الحاسدون - ان يطالع سيرتي
وجريدة احسابي، ويتابع السلسلة الطويلة من جسام فعالي
فينجلي له كيف يروض الشعوب من عصيان ، ويهاجم
الحصون ويعبئ الفياتق ، ويشيد شهرته البعيدة على
ملاحم مجيدة .

الكنت : ان للقدوة الحية لسلطاناً آخر .

لا يحسن الأمير استذكار واجبه ان يقرأه في كتاب .
وبعد فهل فعلت في ذلك الرده الطويل من دهرك ما لم
تضارعه فعالي في يوم من أيامي ، لقد كنت شجاعاً وإني
لكأثنه اليوم ، هذا الساعد هو اقوى ركن للمملكة .

ترتعد غرناطة والأرغون حين أنتضي حسامي .
ويقوم اسمي مقام السور المنيع دون قشتالة . لولاي
لانتقلتم عاجلاً من ولاية قوم الى ولاية آخرين ، ولأصبح
أعداؤكم بين ليلة وضحاها ملوكاً عليكم .

كل يوم او بعض يوم يضيف الى مجدي غاراً فوق غار،
وفوزاً بعد فوز . ولو وجد الأمير بجاني في الحومات
لارتاض بأسه في ظلّ ذراعي ، ولتعلم النصر وهو يشهد
نصراتي ، ولاستكمل وشيكاً خلقه العظيم برؤية ...

دن دياج : اعرف انك تحسن القيام بخدمة الملك ، وقد نظرتك تكافح
وتقود الجنود تحت إمرتي، فلما علت سني ، وأسأل الشيب
صقيعه في اعصابي ، أحلّتك بسالتك النادرة إجلالاً كريماً
في مكاني ، وعلى الجملة وتنكباً عن الفضول، إنما أنت اليوم
ما كنت انا بالأمس ، غير انك رأيت في سائحة هذا اليوم ان
الملك وجد موضعاً للتمييز بيني وبينك .

الكنت : قد غصبت مني ما كنتُ به أولى .

دن دياج : إنما أب بالغم من كان به أولى .

الكنت : كان الأقدر على هذه المهمة بتوليها اجدر .

دن دياج : لأمر ما لقيت المنع بدلاً من المنح .

الكنت : أظفرك بالمنصب ظهر اوك^(١) لقدم عهدم بالزلفى^(٢) .

(١) الظهير : الممين ، القوي الظهر .

(٢) الزلفى : القربة ، الدرجة ، المنزلة .

- دن دياج : لم يكن لي ظهيراً إلا ما سطع من آيات إقدامي .
الكنت : لنذكر بالأحرى ان الملك راعى كبر سنك .
دن دياج : اذا منح الملك رفعة قاسها الى الكفاية .
الكنت : ومن ثم كنتُ أحق منك بتلك الرفعة .
دن دياج : من لم يحرزها لم يكن أهلاً لها .
الكنت : لم يكن لها أهلاً ... أنا ؟
دن دياج : أنت .
الكنت : دونك ايها الهرم الجسور جزاء قحتك (بلطمه على وجهه)
دن دياج : (أخذاً سيفه بيده)
أنجز واجهز عليّ بعد هذه الاهانة . هي اول وصمة
ندى^(١) لها جبين في اسرتي .
الكنت : ما انت فاعل مع ما يقعد بك من العجز ؟
دن دياج : يا رباه . ان قوتي المتلاشية لتخونني في هذا الموقف .
الكنت : (مسقطاً بطرف سيفه سيف خصمه)
سيفك لي ... ولكنك قد تفخر وتزهى لو حملت
بيدي هذا السلب الخجل . وداعاً ... أقرىء الأمير
(١) ندى : يقال يندى لها الجبين حياء .

– وان كره الحساد – سيرة حياتك لاستكمال تهذيبه، وهذا العقاب الذي عوقبت به عن هجرك في القول لا يدع ان يزيد تلك السيرة حلية صغيرة .

المشهد الرابع

دن دياج

دن دياج : يا للحنق ... يا للياس ... يا للشيوخة القهارة ألم تمتد بي أيامي إلا لتعلق بي هذه السُّبَّة ، أو لم أشب متمرساً بأفات الحروب إلا لأرى في يوم كل ما علاني من أكاليل الغار ملطخاً بالعار .

أساعدي الذي تكبره اسبانيا جميعاً ، أساعدي الذي أنقذ هذه المملكة من كل كرهية ، وثبتت عرش صاحبها كلما تداعى ، يخونني اليوم في خصومتي ولا يجديني فتيلاً؟ يا للذكري الأليمة ، ذكرى مجدي السالف الذي بنى في أيام عداد ، وتقوض في يوم واحد .
يا منصي الجديد الذي كَبَّأ به طالع سعدي ، فكان مهبطاً باذخاً سقط من عليائه شرفي .

أحقّ عليّ أن أرى الكنت بعدوانه يطفئ سناك ،
وأن اموت بلا انتقام او اعيش في شنار ؟
أيها الكنت : كنت بعد هذا اليوم مرشد اميري .
هذا المقام السامي لا يفسح لرجلٌ ثلم^(١) شرفه .
حفزك الحسد والكبرياء فكسوتني سبّة نحتني عن
ذلك المنصب ولم يغن عني معها اختيار الملك .
فانت أيها النصل الذي كنت أداة مجيدة لحملاتي
أصبحت زينة غير مجدية لجسم قد خدمت عزيمته .
أيها الحديد الذي هابه الأعداء قديماً ، وفي هذه المذلة
وجدته حلية للبهرجة لا أداة للدفاع ، اذهب وفارق من
اليوم أحقر من فوق الثرى ، وانتقل - لتنتقم لي - الى يد
خير من يدي .

(١) ثلم : ثلم الحائط أحدث فيه الخلل .

المشهد الخامس

دن دياج ، دن لذريق

دن دياج : لذريق ، ألك فؤاد ؟

دن لذريق : لو سألني غير أبي لذاق بأسى وشيكاً .

دن دياج : نعمت الغضبة . ونعمت الحفيظة التي تلتطف ألي . لقد
عرفتُ في هذه السورة " دمي ، وبعث شبابي في هذه
الفورة السريعة .

تعال يا ابني . يا دمي . تعال واثار لو صمتي . تعال
واتقم لي .

دن لذريق : مِمَّ ؟

دن دياج : من إهانة شديدة طعن بها شرفنا الطعنة القاتلة ، من لكمة
في الوجه بيد وقح ما كنت لأبقي عليه لولا أن الهرم قد
أخذ من عزمي الصادقة . وهذا الحسام الذي شلّ به زندي
أدفعه اليك لتثار لي وتعاقب الأثيم . فاذهب واختبر
شجاعتك في مبارزته .

(١) السورة : حدة .

ان إهانة كهذه لا تُغسل إلا بالدم ، فُت أو اقتل .
واعلم ، حذرَ الاغترار ، ان الذي أدعوك الى كفاحه رجل
يُرهب جانبه ، فقد شهدته مجللاً بالدم والعِشِيرَ " ، يلقي
الرعب في قلب جيش بأسره ، ورأيت الجحافل تتمزق
بصدماته . ولأزيدك علماً به أقول انه فوق العسكري
الباسل ، وفوق القائد الكبير . هو ...

دن لذريق : رحماك أتم .

دن دياج : والد شيان .

دن لذريق : ال ...

دن دياج : لا تحاور . أعرفُ هواك . ولكن الذي يطيق الحياة في ذلة
غير جدير بالحياة . انها لتشقّ المهانة علينا بقدر ما يكون
مقترفها حبيباً الينا . فأما وقد عرفتَ الاساءة وييدك
الانتقام منها ، فلن أقول لك غير ما قلت . خذ بثأري .
خذ بثأرك . وأظهر أنك الابن البار الخليق بالانتساب الى
أبي مثلي . سامضي وأنا أنوء بالمصائب التي صبّها عليّ
القدر ، فأبكي لما حلّ بي منها . وأنت فاذهب . توثّب .
طِرْ وانتقم لكلينا .

(١) العشير : التراب والمبجاج .

المشهد السادس

دن لذريق

دن لذريق : رُميتُ في صميم الفؤاد بسهم فاجاني فاصمى . أنا الطالب
المسكين لثأر عادل ، والهدف الذي تبرح به صروف دهر
ظالم ، اقف بلا حراك وتستسلم نفسي مستضعفةً لضربة
تودي بي .

أفي حين أوشكتُ ان أبلغ غرامي - واحرّ قلباه
لمرارة خطي - يكون في هذه الخصومة أي الموتور " ،
ويكون الواتر أبا شيان الشدّ ما أكابد من المعارك في نفسي
حتى شرفي يحاربني دونه غرامي . يجب أن أنتقم لأبي ،
فان افعل افقد ريحانة روعي . فنازعة يحفز قلبي ، واخرى
تصد ذراعي . افضيت الى التخيّر الأليم بين خيانة هواي
او الرضى بالهوان ، ومن كلا الجانبين مصابي وراء كل
مصاب ، وارحمنا لي من تائق هذا العذاب ا

أدع الاساءة بلا عقاب ، أم أقتصّ من المسيء وهو ابو

(١) الموتور : من قتل له قتيل فلم يُدرِك بدمه .

شيان ؟ الوالد - المعشوقة - الشرف - الغرام ، وأنا بين
الطواعية للأمر الشريف القاسي او الاستبداد المعذب .
بادت جميع مسراتي او صدع شرفي .
احد الأمرين يردني شقيماً ، والثاني يُفقدني الحق في
البقاء .

فيا ايها الأمل الحبيب البغيض الصادر عن نفس أبية
للهوان مدلهة^(١) بالهوى في آن ، إنك لأشرف عدو لأتم
سعادة اطمع فيها . ويا سيفاً يسبب شقائي ، أقلدتك لأثار
بك لشرفي ؟

أقلدتك لأرزأ بك شيان ؟ أولى لي ان اهرع للقاء
منيّتي . انا مدين لمحبوبي كما انا مدين لوالدي ، فاذا انتقمتم
أثرت غضبها وبغضاءها ، واذا لم انتقم كسبت ازدراءها .
فحالة تنقض ما عاهدت عليه أعزّ آمالي ، وحالة تجعلني
غير كفاء للتي احبها . يتفاقم دائتي بما ألتمس له من الشفاء ،
وكل شيء يزيد تباريحي ، فتوطنني يا نفس اذا لم يكن بد
من الموت ، على ان نرد حوضه من غير اساءة الى شيان .

(١) الداله : الذاهب العقل من العشق ونحوه .

أموت ولا أستاذي حسابي موتاً يقضي على شرفي شر قضاء،
متحتملاً ان تصم اسبانيا ذكراي بانني لم أرع كرامة بيتي!
أؤثر حبا تراه نفسي - وان اضلها - صائراً الى
الضياع! فلا نصغ الى إغراء خادع لا يجدي عليّ سوى
مضاعفة آلامي . وهلمّ يا ساعدي ننتقد الشرف اذا لم يكن
لنا بد من فقد شيان .

اجل . كان عقلي قد اختبل . انا مدين بكل شيء لابي
قبل معشوقتي . لأجندل^(١) في الكفاح ، او لأهلك من
الأسى ، ساردّ دمي نقياً كما تلقيته ، اني لأشكو نفسي من
تريثي .

بدار^(٢) الى الأخذ بالثأر . واخجلتنا من هذا التردد
الطويل .

لا عليّ . والدي هو الذي أهين اليوم . ان الذي اعتدى
عليه هو والد شيان .

(١) جندل : صرع . (٢) بدار : أسرع .

الفصل الثاني

المشهد الأول

دن ارياس ، الكنت

الكنت : اعترف بيني وبينك ان الحمية استفزتني ، وان دمي غلي
من كلمة أكبرتُ مرماها . فأما وقد قضي الأمر ، فالعلة لا
دواء لها .

دن ارياس : فلينزل قلبك الكبير على ارادة الملك ، إذ ان ذلك الحادث
قد وقع منه موقعاً أحفظه ، وسيقضي في شأنك بمطلق
سلطانه . وليس لك من عذر مقبول : فان خطر المساء
اليه ، وجسامة الاساءة يستلزمان من الواجبات ومن
الطاعات ما يتخطى حدّ المألوف في الترضيات .

الكنت : الملك ان يتصرف في حياتي كما يشاء .

دن ارياس : أتبعته وزرك بوزره آخر من النزق والاندفاع .
الملك ما زال يودك، فسكن غضبه . قال اني اريد ،
فهل تابى الامتثال ؟

الكنت : يا سيدي ، إذا أبقيتُ على كرامتي ومن اجلها انخرفت عن
الطاعة انحرافاً يسيراً أتعدُّ عليّ هذه المخالفة ذنباً جسيماً ؟
على انه لو بلغ ذنبي ما بلغ ، فان خدّمي الراهنة كافية
للتكفير عنه .

دن ارياس : مهما يأتِ التابع من عظامم الفعال فلا فضل له بها على
الملك . انك لتحسن ظنك بنفسك غاية الاحسان ، على ان
خدمة الملك فرض مقضي ، فان ظلمت على هذا الاعتداد
بنفسك افضى بك الى سوء المصير .

الكنت : لا اصدق الخبر حتى يؤكدّه الخبر .

دن ارياس : يجب ان تحذر جانب الملك .

الكنت : يوم واحد لا يقضى به على رجل مثلي . فليتسلح بكل
اسلحة اقتداره لتعذيبي . ان اهليك تهلك الدولة .

دن ارياس : يا عجباً . أهذا مبلغ تهيبك للسلطان الأعلى ؟

الكنت : سلطان الصولجان الذي لولاي لسقط من يده . ان مصلحته

كلّ مصلحته لفي بقائي ، فاذا هوى رأسي هوى تاجه عن رأسه .

دن ارياس : تلتطف بتهدئة روعك، والرجوع الى رأي أصوب في شأنك.

الكنت : قد انتصحت بما بدا لي .

دن ارياس : فماذا أقول له اذن ، ولا بد لي من الجواب ؟

الكنت : قل له انني لا استطيع قبول ما فيه إذلاي .

دن ارياس : ولكن تذكر ان الملوك يابون إلا ان يكونوا مستبدين .

الكنت : هذا أمرٌ قد فرغ منه يا سيدي ، فلا محلّ لمزيد القول .

دن ارياس : بقي عليّ الانصراف بعد اخفاقي في إقناعك ، وليس الغار ليردّ عن هامتك فاتقِ الصاعقة .

الكنت : سأتنظرها بلا وجل .

دن ارياس : ولكنها واقعة لا محالة .

الكنت : سنرى اذن دن دياج بالغاً مرامه . (منفرداً) من لا يخشّ

الموت لا يخشّ الوعيد . ولي قلب يعلو علواً كبيراً عن

النقم ، وان كان من الأوج مهبطها . لايسر لي أن أتحمّل

عبء الحياة لانعماء فيها ، من ان أطيق العيش والشرف

مثل .

المشهد الثاني

الكننت ، دن لذريق

- دن لذريق : سمعك يا كنت . لي اليك كلمتان .
الكننت : تكلم .
دن لذريق : أزل ريباً من نفسي ، أتعرف دن دياج
الكننت : نعم .
دن لذريق : لنتكلم همساً - إصغر إلي .
أتعرف ان هذا الشيخ كان في زمانه مثال الفضيلة
والشجاعة والشرف ... أتعرف ذلك ؟
الكننت : لعله .
دن لذريق : هذه الحرارة التي تسطع في عيني هي حرارة دمه . أتعرف
ذلك ؟
الكننت : وما يعنيني ؟
دن لذريق : سأنبئك ان كنت من الجاهلين - على اربع خطى من هنا .
الكننت : كبرت دعواك ايها الفتى .
دن لذريق : تكلم بلا انفعال . لاني فتى ما زلت . ولكن البأس في
النفوس الكريمة لا يُرتهن بعدد السنين .

الكنت : أتقيس نفسك إليّ ؟ من الذي نفخ فيك هذا التبجح ولما
تمتشق حساماً ؟

دن لذريق : أمثالي يبيّنون عن بأسهم بفتكة لا فتكتين ويأتون في
التجريب ما لم يأتته اولو التدريب .

الكنت : أتعرف من أنا ؟

دن لذريق : أجل . وسواي من يفرّق لشهرة اسمك . أرى غاراً فوق
غار يغشّي رأسك ، فيلوح لي أن الاقدار قد كتبت به آية
هلاكي ، ولكنني سأضرب غير مبالٍ ساعداً ما فتىء النصر
حليفه ، وسأجد من القوة كفاء ما عندي من الشجاعة .

لا يمتنع أمر على الذي ينتقم لأبيه .

زندك لم يُغلب ولكنه لم يُعصم من يد تغلبه .

الكنت : هذه الشجاعة التي تتفجر في كلامك كنت أرى مخايلها كل
يوم في عينيك ، وأشعر أنك ستغدو فخر قشتالة فيطيب
لي ان تصبح ابنتي لك حليّة . اعرف هيامك بها ويسرني
ان اشهد ان عوامل الهوى لم تحل بينك وبين الواجب ولم
تثن عزمك النبيلة . ولقد جاءت شمائلك العالية مصداقاً
لعالي رأيي فيك ، فتبينتُ منها ، وامنيتي اختيار صفوة
الفوارس لمصاهرتي ، انه لم يخطئني التوفيق في إثارةك .

على انني أحسن ان بي نزعة من الرحمة لك ، فأعجب
بإقدامك وأشفق على صباك .

دع التعرُّض في بدء شأنك لتجربة تأتي على نفسك .
وأعفِ بأسِي من نزال من ليس لي نداءً . فما من فخر لي
في عقبى ذلك النزال .

من غلب ولم يخاطر فاز ولم يجد .
سيتوهم الناس انني صرعتك ولم أجهد ، فيبقى لي ،
ولا فخر ، اسف الايذاء بك .

دن لذريق : تُعقب على جرأتك بشفقة مزرية .
أفمن يسلبني شرفي يتجنب ان يسلبني حياتي ؟

الكنت : توارَ من هذا المكان .

دن لذريق : هلمّ بنا من غير حوار .

الكنت : أنت تعيب من الحياة ؟

دن لذريق : أنت ترهب الموت ؟

الكنت : تعال فإنما تقوم بواجب ، وليس بكريم العنصر ولد يعيش
يوماً بعد شرف أبيه .

المشهد الثالث

بنت الملك ، شيان ، ليونورة

بنت الملك : سكّني يا شيان ، سكّني ألم نفسك ، وردبها الى الصبر في هذا المصاب .

ستجدين الصفاء بعد هذه الراجعة^(١) الضعيفة .
وما شوائب سعدك إلا سحائب رقيقة لا تلبث أن
تتقشع فتجلدي تحمدي عقباها .

شيان : قلبي مقسّم بين الهموم ولا يشيم بارقة للرجاء. هذه العاصفة
المفاجئة التي هاجت بجرأ هادئاً إنما تنذر بغرق لا مفرّ منه.
لست بمرتابة وانني لهالكة في المرفأ. كنت محبة ومحبوبة
وكان أبوانا على وفاق . فبيننا انا أحدثك بهذا الحديث
البهيج اذ تولدت تلك الخصومة، وانتهى اليك خبرها المروع
فهدم ما كان مشيداً من آمالي . قبح الطمع ، وساء من خلة
تجنبي باستبدالها على أكرم النفوس .

فيا أيها الشرف الذي لم يرحم أعزّ أمانيّ ، ماذا أنت
سائمي من دموع وزفرات ؟

(١) الراجعة : السحابة ذات الرعد .

بنت الملك : ليس في هذه الخصومة ما يؤذن بما تخافين ، فقد شبت جذوتها في لحة ، وستخدم في لحة . سيدعو تفشي أنبائها الى جسمها ، وحسبك ان الملك قد أراد اصلاح البين ، ثم تعلمين انني أرق لأشجانك، فما من أمر مستطاع إلا سأفعله لإزالتها .

شيان : في مثل هذا الأمر لا تُجدي المصالحات فتيلًا ، والمساءات القاتلة كهذه لا تندمل جراحها .

هيات ان تنجع القوة او الحكمة في تلك العلة ، فان شفيت لم يكن شفاؤها إلا في الظاهر .
البغضاء التي تتغلغل في القلوب تغذي نيرانا يخبأها الرماد فما يزيدا إلا احتداماً .

بنت الملك : إن الرابطة المقدسة التي ستربط لذريق بشيان ستذهب بأحقاد الوالدين المتعادين ، وسرى عما قليل حبكما يستظهر على الضغينة فيها ، ونرى الزفاف الهنيء يلاشي تلك الشحاء .

شيان : تلك أمنيقي ولكن يقصر دونها رجائي .

دن دياج عات^(١) ، ووالدي أعرفه . تسيل دموعي
ويودي لو ترقاً ، يؤلني الماضي ، وأخشى المستقبل .

بنت الملك : ماذا تخافين من هرمٍ قد وهن^(٢) العزم منه ؟

شيان : لنريق مقدام .

بنت الملك : لم يزل في نضارة عوده .

شيان : الشجاعة في الشجعان تبدو لأول بادرة .

بنت الملك : وعلى هذا لا أرى محلاً لما تحذرين ، فإن لنريق يهواك هوى
ينأى به عما تكرهين ، وكلمتان من فمك تكفيان لإطفاء
ثورته .

شيان : فإن لم يطعني فما أشد حزني ، وان اطاعني فماذا يقولون
عنه ، أيتحمل تلك الاهانة من ينميه اصل كاصله ؟ وسواء
أأبرم عهده لي ام تقضه فمصيري معه ، اما الى الخجل منه
او الخجل عنه ، لإفراطه في الامتثال او لإبائه وله العذر .

بنت الملك : نفسك يا شيان عالية ، ولا اخال الغرام ينزل بها الى ظنة
دنيئة . فاذا أهبتُ بذلك العاشق الواله ، واحتبسسته لدي^١

(١) عات : جبار ، أيضاً استكبر وجاوز الحد .

(٢) وهن : ضعف .

حتى تتحسر الغمرة ، فحلتُ بذلك بينه وبين تلبية داعي
شجاعته أفلا يمرُّ بقلبك خلجة شك من هذه الناحية ؟
شيان : آه يا سيدتي ، لو فعلت لأفرخ روعي .

المشهد الرابع

بنت الملك ، شيان ، ليونورة ، الوصيف

بنت الملك : يا وصيف ، اجث عن لذريق وادعه إليّ .
الوصيف : الكنت دي جرماز و دن لذريق .
شيان : يا رباه .. أرتعد .
بنت الملك : تكلم .
الوصيف : خرجا معا من هذا القصر .
بنت الملك : أمنفردين ؟
الوصيف : منفردين وكأنها يتلاحيان .
شيان : لا ريب في أنها يتبارزان ، ولا وقت لإطالة الكلام اغتفري
لي يا مولاتي هذا البدار .

المشهد الخامس

بنت الملك ، ليونورة

بنت الملك : يا ويح لي ، ما أشدَّ بلبالي^(١) ! أبكي لشقاءها وعاشقها يملاً قلبي ، زایلتنی راحتي ، وثارث لواعجی .

والسبب الذي سيفرق بين لذريق وشيان ينعش أملي ويجدد في آن ألي . أرى انفصالها بمضض وارتماض^(٢) وفي قرارة مهجتي غبطة وسرور .

ليونورة : تلك العِصمة السامية ، وهي ملاك أمرك ، أتتغلب عليها بهذه السرعة صبوة أئيمة ؟

بنت الملك : لا تصفيها بالإثم بعد أن طغت على نفسي ، وألقت زمامها إلى أحكامها القاهرة .

أولَّيها رعايتك من حيث انها تعزَّ عليّ . عفتي تقائلها ولكن على الرغم مني ارجو رجاء لا يقوى عليه قلبي المستضعف فيطير بأجنحة الخيال الى العاشق الذي فقدته شيان .

(١) بلبالي : شدة الهم . (٢) ارمض الرجل : أوجمه .

ليونورة : فانت اذن تقذفين بقوة عزيمتك من حالق ، وتعطين عمل عقلك .

بنت الملك : آه . ما اقل استجابة الهوى فينا للرشاد حينما يرتوي القلب من سمه الشهي . قد يالف السقيم نزوات سقامه ، فيشق عليه التماس البرء من آلامه .

ليونورة : أملكِ يغريك ، وأملك مستعذب ، ولكن لذريق ليس باهل لك .

بنت الملك : أعلم ذلك فوق ما تعلمين ، ولكن اذا كان خفري لم يعصمني منه فتبينني كيف يسطو الغرام على القلب الذي يملكه .

اذا خرج لذريق منتصراً من هذه المبارزة، واذا سقط هذا الغطريف بأية من بأسه جاز لي أن أكثرث لشأنه وأن أحبه بلا تورع، فما الذي يمتنع عليه، وقد تغلب على الكنت؟ يخيل إليّ عندئذ أنه لو صال أدنى صولاته لدانت له الممالك بأسرها . ويهيء لي غرامي منذ الساعة أنني أراه جالساً على عرش غرناطة يستعبد المغاربة ، ويعبدونه خاشعين ، وأن الاراغون ستتلقاه فاتحاً، وأن البرتغال ستوليها قيادها، وأن أيامه الغراء ستمد الى ما وراء البحار جاهه وسلطانه،

وتسقي بدماء اعدائه أكليل غاره . وعلى الجملة فكل ما
قالوه عن أشهر الغزاة أرقبه من لذريق بعد فوزه، وأجعل
معه كلفي به فخراً لي وذخراً .

ليونورة : ولكن يا سيدتي تبصري الى اين ترفعين مقامه على أثر مبارزة
لعلها لم تحدث .

بنت الملك : لذريقُ مُساء اليه ... والكنت هو المسيء وقد خرجا
معاً ... ابعدها جواب على سؤال ؟

ليونورة : ليكن يا مولاتي أنها يقتتلان كما تشائين ، ولكن هل يدرك
لذريق عملاً ما بلغته اليه أملاً ؟

بنت الملك : ماذا تبتعين مني؟ لقد خولط عقلي، وضلت سبيلي فانظري
ما يعد لي العشق من التباريح ، تعالي الى غرفتي فسري
عني ، ولا تتركيني في هذا البلبال وحدي .

المشهد السادس

دن فرنان ، دن ارياس ، دن سنش

دن فرنان : الكنت اذن على ما وصفت من الخيلاء ، وقلّة البصر
بالعواقب ، أيجرؤ على الظن بأن جريمته تغتفر ؟
دن ارياس : حدثته من قبلك وأسهبْتُ في البيان ، وبذلت معه جهدي
يا مولاي ، ولم أصل منه الى طائل .
دن فرنان : يا عجباً ! رجل من أتباعي تذهب به الجرأة الى نقض ما
لي من حق التجارة والى الاستخفاف برضاي ، فيهن
دن دياج ، ويحتقر مليكه ، ويأمرني أمره بين حاشيتي
وبطانتني ! ليكن ما شاء مقداماً جسوراً وقائداً قديراً ،
سأكسر من غرْبِه (١) ، وأحطّ من خيلائه ، ولئن كان
أخاً للشجاعة وإله الحرب لأرينّه ما عقاب معصيتي .
كبرت جريمته وحقّ عليه القصاص ، غير انني أردت
باديء بدء أن أرفق به ، فأما وهو قد جاز مدى الحلم ،
فامض اليه ليومك ، واقبض عليه مستسلماً او مقاوماً .

(١) غريبه : نشاطه وحدته .

دن سنش : لعل التريث في أمره يردّه عن المعصية ، فقد أخذ على حين كان دمه فائراً من أثر الخصومة .

مولاي إن قلباً نبيلاً كقلبه يصعب اقتياده في حرارة
سورته الاولى . انه ليرى خطاه ، ولكن النفس الأبية يشق
عليها ، ولما يسكت عنها الغضب ، الاقرار بخطئها .

دن فرنان : صه يا دن سنش واعلم أن الشفاعة فيه جريرة كجريرته .

دن سنش : سمعاً وطاعة ولكن سباحاً يا مولاي ، وإذنًا لي بكلمتين
اخريين دفاعاً عنه .

دن فرنان : وما يسعك أن تقول ؟

دن سنش : يعزّ على نفس تعودت المساعي الجسام التدني الى الطاعات

زعماً منها ان خضوعها لا يؤوّل إلا بما فيه هوانها ، فاهوان
وحده هو اللفظة التي عصى من أجلها الكنت ، ووجد في
أداء مفترضها قسوة ناهيك من قسوة ، وما كان أقربه الى
الامتثال لو كان أقلّ صلابة في القتال ، فأوقع اليه أمراً بأن
يصلح ما أساء في حومةٍ يخوضها ، وجلادٍ يعمل فيه ساعده
التمرسّ بأفات المعامع ، يلبّك يا مولاي الى ما تشاء .

ولو تصدى له من تصدّي ريثما يتبين جلية أمره -

لجابه هذا (يشير إلى سيفه) .

دن فرنان : ذهلت عن حرمة الموقف، ولكنني أتجاوز لستك، وأعذر الحمية في مقبل الشباب . فإن الملك الذي يصرف حكمته في الأمور المثلى يبقي ابقاء الضنين على دم رعاياه . وما شأني في الحرص على أتباعي والاحتفاظ بهم إلا شأن الرأس يعنى بالأعضاء التي تخدمه .

فالرأي الذي أدليت ليس هو الرأي في نظري .
انت تتكلم كلام جندي ، وعليّ ان أفعل فعل ملك ،
ومهما يزعم الآخرون ، ومهما يدعرك الكنت فإن اطاعته لي
لم تكن لتخط من عليائه، على ان إساءته قد مستني بإيذائها
شرف ذلك الذي آثرته مرشداً لولدي ، فهو باستطالته على
من اصطفت استطال عليّ بالذات ، واقترف وزر الاعتداء
على السلطان الأعلى .

حسبنا كلاماً في هذا المعرض . وقد بقي عليّ ان أقول
ان عشرأ من سفائن أعدائنا القدماء لوحظت رافعة
أشرعها ومجترئة على الاتجاه نحو مصب النهر .

دن ارياس : قد عرفك المغاربة بما عانوه من بلائك فيهم ، وأراهم لكثرة
ما باؤوا بالفشل والانحجار لا يقدمون بعد على مناوأة
قهارهم العزيز .

دن فرنان : يعزّ عليهم - لا محالة - ان يروا صولجاني باسطاً ظله على أرجاء الأندلس ، وهم يرمقون بعين الغيرة هذا البلد الجميل الذي أضاعوه بعد ان طالت ولايتهم عليه ، فلهذا السبب الأوحد نقلت عرش قشتالة الى اشبيليا منذ عشر سنين ، بحيث يتسنى لي ان أراقبهم عن كشب ، وان اتدبر عاجلاً فيما يصدّ هجياتهم ويخلف ظنونهم .

دن ارياس : يدرون ، وقد أطارت الحرب أرفع هاماتهم ، ان شهودك الوقائع يضمن لك الفتوح ، فلا بأس عليك منهم .

دن فرنان : وليس من الصواب ايضاً ان نسترسل في الإهمال فإن فرط الثقة مجلبة للخطر ، وما غاب عنك ان مدّ البحر يدينهم الى هذا المكان بأيسر مجهود ، على انه لا يجمل بي ان ألقى في القلوب هلعاً من الطوارق ولم تبدُ حقائقها فرمياً أحدث شيوع هذا النذير هلعاً يزعج المدينة في الليلة الآتية ، فر عني بمضاعفة الحرس على الأسوار وفي الميناء ، وحسبنا هذا القدر في هذا المساء .

المشهد السابع

دن فرنان ، دن سنش ، دن النس

- دن النس : مولاي ، قدمات الكنت ، ووتر دن دياج بيد ابنه .
- دن فرنان : منذ علمت بالاهانة شعرت بهذا الانتقام ، وعمدت من ساعتى الى تدارك الفاجعة .
- دن النس : بالبواب شيان وفدت لترفع بثها الى قدميك مستعبدة العينين تلتمس الانصاف .
- دن فرنان : انى لأرثي لبواها ، ولكن أبها لقي الجزاء الحقيق بجرأته ، على انه خليق بها أن تحزن على الكنت ، وبى أنا ان آسف لفقدي قائداً عظيماً خدم مملكتي خدمة طويلة الأمد ، وسفك في سبيلي دمه في ألف معترك ، فمع ما حركت نفسي من العوامل سورة كبريائه أجهر ان فقدته يضعضعني ، وان موته يشجيني .

المشهد الثامن

دن فرنان ، دن دياج ، شيان

- شيان : مولاي ، مولاي عدلاً .
دن دياج : آه يا مولاي اصغر الينا .
شيان : أترامى على قدميك .
دن دياج : أقبّل ركبتيك .
شيان : التمس النصفة .
دن دياج : استمع لدفاعي .
شيان : عاقب ذلك الشاب الجريء على قحته ، فقد قوّض ركن
صولجانك . قتل أبي .
دن دياج : أخذ بشار أبيه .
شيان : الملك موكل بالعدل في دماء رعيته .
دن دياج : لا عقاب على الانتقام المشروع .
دن فرنان : إنهما كلاهما لقد فسحت لكل منكما في إبداء ما عنده .
شيان ، أرثي لبلواك ، وأحسّ أن حزني عديل حزنك
نتكلم فيما بعد ، لا تقطع عليها شكواها .

شيهان : مولاي ، أبي قُتل ، وشهدت عيناى دمه المسفوح يتدفق
دُفعا كباراً من جنبه الكزيم ، ذلك الدم الذي بذل مراراً
لصيانة أسوارك ، ذلك الدم الذي اعلى كلمتك في المعامع .
ذلك الدم الذي خرج والدخان يسطع منه غضباً
لانسفاكه في غير سبيلك .

ذلك الدم الذي لم تستطع الحروب أن تريقه في غمراتها
قد جَلَل به لذريق بلاط قصرك .

هرعت خائرة القوة شاحبة اللون ، فوجدته فارق
الحياة . اعذر توجعي ، يا مولاي . عدت الصوت لاستكمال
هذه القصة المروعة ، وكفى بدموعي وزفراي إفصاحاً
عن سائر ما جرى .

دن فرنان : ثبتي قلبك يا بُنيّتي واعلمي اليوم أن الملك يريد أن يكون
لك أباً مكان أبيك .

شيهان : مولاي ، بالفت في تشريف قدرى بعد محنتي . لقد تقدم
قولي انني وجدته بلا حراك ، كان جنبه فاغراً وكانني
بدمه يستصرخني ويخطّ لي على التراب ما يقتضيني من
الواجب .

أو كان تلك القوة التي رُدَّتْ الى البوار تخاطبني
بجرحها لتستحثني على اللحاق بالغارم ، وتستعير من فم
هذا الجرح الأليم صوتي لإبلاغ ظلامتها الى أعدل الملوك .
مولاي ، لا تُجِزْ أن يقع في عهدك وبمشهد منك مثل هذا
الجرم ، وأن يستباح اولو البأس المبرزون لمجترىء عليهم
يامن العقاب ، وأن ينبري شاب جسور فيهدم علياءهم ،
ويشرب دماءهم ، ويلطخ ذكراهم ، فإذا لم تثار لذلك
الصنديد^(١) الذي رزته طفتت في النفوس حماسة الذين
يخدمونك .

دع كل هذا . قتل أبي ، وأطالب بدمه لا للترفيه عني
باكثر من الرعاية لجانبك . خسارة لك أن تحرم رجلا هذا
شأنه ، فإثار لموته بموت الجاني عليه ، وكافية الدم بالدم ،
وضح^١ به لتاجك لالي ، بل قدمه لعليائك بل لذاتك .
ضح^٢ يا مولاي لمنفعة الدولة بكل من يستطيع مثل هذه
الاستطالة .

(١) الصنديد : السيد الشجاع .

دن فرنان : دن دياج ، أجب .

دن دياج : أحر بالانسان الذي يعدم الحياة بانعدام عزيمته أن يغبطه
الناس فقد يهيبىء للكرام طول آجالهم بعد شوطهم المجيد
المجيد ضعةً وهواناً ، أنا الذي ضمننت له فعاله الجسم ما
شاءت من الفخار . انا الذي عقب على النصر بالنصر كل
آن وآن . أراني اليوم لا ذنب لي إلا امتداد البقاء أتلقى
الاهانة وألبث موسوماً بميسمها ، فما لم تنبله مني ملحمة ولا
حصار ولا كمين ، وما لم تستطعه أراغون وغرناطة ولا
أعداؤك جميعاً ، - ولا حسّادي جميعاً - فعله الكنت في
قصرك وعلى مدى بصرك غيرة من ايثارك اياي ، واعتداداً
برجحان قوته على القوة التي سلبها مني تقادم سنّي .

فهذه اللّمة التي ابيضّت تحت خُوذة الكفاح ، وهذا
الدم الذي بُذل غير مرة في سبيلك يا مولاي ، وهذا الساعد
الذي كان يلقي الذعر في جيش أعدائك ، كل ذلك كاد ينزل
معني الى القبر موصوماً بالعار ، لو لم ألدولداً جديراً
بالانتساب إلي ، خليفاً بإعلاء ذكر بلاده ، حقيقياً بالانتماء

الى ملكه ، أعارني ذراعه ، وصرع الكنت ، فنضح عن شرفي ، وغسل أوضار^(١) عاري . فإذا كان إبداء الشجاعة ، وشفاء غلة الحقد ، والانتقام من اللطمة في الوجه ، جناحاً يعاقب عليه ، فعلي[ؑ] وحدي تقع التبعة .

يخطيء الزند فيعاقب الرأس ، وسواء أعد[ؑ] ذنباً ما تتجاوز فيه أم لا ، أنا يا مولاي الرأس ، وليس ابني إلا الذراع . تشكو شيان من انه قتل أباه ، وتالله ما كان ليودي به لو قدرت على الإيداء به . فليضح[ؑ] اذن بهذا الرأس الذي يلوي به الهرم ، وليبق[ؑ] الساعد الذي يضطلع بخدمتك . أرض شيان بسفك دمي ، فقد طب[ؑ]ت نفساً للاقتصاص مني ورضيت[ؑ] بالحكم علي[ؑ] مهها بوليغ[ؑ] في شدته ، إذ انني بموتي نقي[ؑ] الشرف ، أموت بلا أسف .

دن فرنان : المسألة ذات بال تدعو الى إعمال الروية ومشاورة المجلس دن سنش ، اصحب شيان الى بيتها .

(١) الوضر : وسخ الدسم .

دن دياچ يلزم قصري سجيناً فيه، رهيناً بعهده. ليؤت

بابنه سانصفك يا شيان .

شيان : من العدل ايها الملك العظيم ان يُقتل القاتل .

دن فرنان : روحي عنك يا ابنتي ، وسكني أحزانك .

شيان : الأمر بالترويح عني يزيد أشجاني .

الفصل الثالث

المشهد الاول

دن لذريق ، الفيرة ،

- الفيرة : لذريق ، ماذا صنعت ؟ الى اين تأتي يا منكود الطالع ؟
دن لذريق : جئت لأتابع سيرى في طريق شقائي .
الفيرة : أنى لك هذه الجرأة وهذه الخيلاء الجديدة ، وكيف تظهر
في هذه الأمكنة التي ملأها حدادا ، أجئت الى هنا تتحدى
طيف الكنت ؟ ألسنت قاتله ؟
دن لذريق : حياته كانت عاراً عليّ ، وشر في سامّ يدي هذا البطش .
الفيرة : ولكن أتلجأ الى بيت صريعك ؟
وهل جرى ان قاتلا اتخذ بيت قتيله موثلاً ؟
دن لذريق : إنما أتيتته لأستسلم الى وليّ الدم فيه ، فلا تنظري اليّ بهذه

الدهشة . أطلب الموت بعد ان أعطيتُهُ . وغريمي هو
غرامي ، وقاضيُّ هو شيان .
حُقَّ لي ان أموت حين أثرتُ حفيظتها ^(١) فوافيت
ولا مطمع لي إلا سماع الحكم عليَّ من فمها ، وتناول الضربة
القاضية من يدها .

الفيرة : أولى لك ان تتوارى عن عينها ، وتفرَّ من غضبها ، وتتقي
سورة حزنها في بدء شبوبها . اذهب ولا تتعرَّض للفورة
الأولى ، وللنزوات ^(٢) التي تدفعها اليها عوامل حقدتها .

دن لذريق : لا . لا وهيات ان يبلغ حنقها ، والعذاب الذي ينالني منها ،
ما هو حقيق بأن يبلغه ، فإني لو قدرت على مضاعفة غضبها
لتعجيل أجلي لاجتنبت مئة مئة ستعنيني .

الفيرة : شيان في القصر غارقة في البكاء ، ولن تعود منه إلا
مصحوبة بمن يُخشى بأسه .

فاهرب يا لذريق إني أسالك مستعطفة ، وأتقذني من
هذه الحيرة ماذا يقول الذين قد يرونك الآن في هذا المكان ،

(١) حفيظة : الغضب والحمية في الشيء الذي ينبغي أن يحفظ .

(٢) انتزى : تسرع إلى الشر .

أتريد ان يتهمها واش - وفي ذلك نهاية بؤسها - بأنها
فسحت لقاتل أبيها ان يتحرم بجهاها .
أزف معاها ... ها هي آتية ... أراها .
لايسر الخطب على شرفها - يالذريق - ان تختبىء .

المشهد الثاني

دن سنش - شيان - الفيرة

دن سنش : أجل يا سيدتي يجب ان تسفك دماءً عزيزة شفاء لغضبك
المشروع ، وإرقاءً لدموعك .
ولست محاولاً بالاسباب في الكلام تلطيف ما بك او تعزية
قلبك، ولكن اذا تسنى لي ان أضطلع بخدمتك فاستخدمني
سيفي للاقتصاص من المجرم ، واجعلي غرامي قاضياً
لغرمك، فبأمر منك يشهد ساعدي، ويأتي العجب العجاب .
شيان : واحربا !
دن سنش : أبتهل اليك ان تتقبلي مني ما أعرض من خدمتي .
شيان : أخشى تكدير الملك وقد وعدني بإنصافي .

دن سنش : تعرفين ان القضاء يسير سيراً بطيئاً ، فيغلبُ إفلات الجناة منه ، لكثرة مطاولته ، وذهاب الدموع هدراً من جراء ريبه ومهله . فأذني لفارس ان ينتقم لك بسلاحه، فيختصر طريق النار ، ويعجل القصاص .

شيان : هذا آخر علاج ، فإذا تحتم وظلمتَ على هذا العزم وهذه الرقة لمصابي كان لك عندئذٍ ان تأخذ بثاري .

دن سنش : هذا أشهى ما تصبو اليه نفسي ، فأما وقد ساغ لي ان أرجوه فإنني أنصرف راضياً .

المشهد الثالث

شيان - الفيرة

شيان : يسرني بعد نفاذ صبري ان أخلو ، وان أكشف لك بطلاقة ضميري ما في نفسي من أفاعيل الآلام . ففي وسعي ان أصعد زفراقي ، وان أظهرك على مكن شجونني .
أبي مات يا الفيرة ، وأول سيف تقلده لذريق هو الذي صرم به جبل أيامه .

أبكي أبكي يا عيوني ، وسيلي دموعاً .

شطر من حياتي قذَفَ الشطر الآخر الى القبر .
وأكرهني بعد تلك الضربة القاضية على طلب الثأر للشطر
المفقود من الشطر الموجود .

الفيرة : استريحي يا سيدتي .

شيان : آه توصيني بالراحة وما أبعدها عما يقتضيني رزئي الفادح .
من اين التمس تسكين ألمي في هذا المصاب الجلل ، وانا لا
أستطيع ان أبغض اليد التي سببتة وماذا أرجو سوى
العذاب السرمد من تعقي الاثم وانا أحب الاثم .

الفيرة : أيتمك من أبيك ، وما زلت تهوينه !

شيان : قليلٌ قولك انني أهواه يا الفيرة ، انا أعبده ، وهيامي به
يعارض حقدي ، هو العدو الذي أجد فيه الحبيب . وأحس
على ما بي من شديد الغضب انه في قلبي يقاتل أبي ، يهاجمه ،
يُجرجه ، يتاركة ، يزود عن نفسه : ثارةً قوياً وطوراً
ضعيفاً ، وأنا منتصراً .

عراك قاس بين الغضب والصبابة يفطر فؤادي ولا
يشطر نفسي ، للهوى ما له علي من سلطان ، ولكتني لن

أتردد في متابعة واجبي ، سامضي بلا توقف في ما يدعوني
اليه شرفي .

لندريق حبيبٌ إليّ ، وهيامي به يشجيني ، ينحاز قلبي
اليه غير انني مرغمة على عدوانه ، وأعرف من انا ، وان
أبي قد قُتل .

الفيرة : أتتوين تعقبه ؟

شيان : آه ، ياله من خاطر أليم ، وياله من تعقب أمعن فيه على
الكره مني . أطلب رأسه وأخشى ان أعطاه . ساموت على
أثره وأريد ان اقتص منه .

الفيرة : دعني ، دعني ياسيدتي هذا المطلب الفاجع ، ولا تسومي
نفسك شرعاً تناهي في جفوته .

شيان : كيف تقولين ؟ أيقضي أبي وكأنه قد قتل بين ذراعي
فيستصرخني دمه للانتقام ولا استمع لصراخه ؟

أیظن قلبي وقد أسرته عوامل صبوته ان حقّ أبي
عليه يوفى بدموع لا تجدي ؟ وهل أحمّل غراماً خادعاً
يعوقني جبناً عن بثّ ما بي ويخنق شرفي ؟

الفيرة : صدقيني ياسيدتي انك أبلتِ العذر ، فلا تشتدي كل
هذه الشدة على من تحبين .

كلا كما عاشق ومعشوق . ولقد فعلت ما في وسعك ،
رفعت أمرك الى الملك فلا تستعجلي حكمه ، ولا تتأدي في
ما يزعجك من هذا التناقض الغريب .

شيان : لا يسلم شرفي إلا بان أثار له ، ومعاذير الهوى حجة للمبتلين
به ، على انها مخجلة للقلوب النبيلة .

الفيرة : ولكنك تحبين لذريق وهو لم يكن ليعتضبك .

شيان : أعرف ذلك .

الفيرة : وبعد فماذا ترين أن تفعلي ؟

شيان : للاحتفاظ بشرفي وللنجاة من همي ، سأنتصف منه فأفقدته ،
وأموت على أثره .

المشهد الرابع

دن لذريق ، شيان ، الفيرة

دن لذريق : إيها ، لا تجشمي نفسك عناء تعقبه ، واضمني لها شرف
الإيداء به .

شيان : الفيرة !! أين نحن ؟ وماذا أرى ؟

لذريق في بيتي ... لذريق أمامي ؟

دن لذريق : لا تبقي على دمي ، وتذوّقي لذة قتلي ، والانتقام مني غير
مدافعة .

شيمان : ويحي ا

دن لذريق : اصغي إليّ .

شيمان : أحتضر .

دن لذريق : امنحيني هنيهة .

شيمان : اذهب ودعني أقضي نحبي .

دن لذريق : أربع كلمات ولا أزيد ، ثم لا تجيبيني إلا بهذا السيف .

شيمان : وا حرباً ، أهذا السيف ، وما زال بليلاً بدم أبي .

دن لذريق : يا شيماني ...

شيمان : وارِ هذا الشيء البغيض فهو يزيد جرمك وإبقاءك قبلاً

في عيني .

دن لذريق : بل انظريه واستفزي به بغضائك ، لتضاعفي غضبك

وتعجلي في الأخذ مني بطائلك .

شيمان : انه مخرج بدمي .

دن لذريق : غيبه في مهجتي ، وأزيلي منه صبغ دمك .

شيمان : آه من جفوة طبعك ، في يوم واحد تقتل الأب بالسيف

والبنت بمرآك ، وارر هذا الشيء ، لا أطيع رؤيته ، تريد
أن أروعك سمعي ، وأنت تزهب روعي .

دن لدريق : افعل ما تأمرين به على أن أختم بيدك حياتي الشقية وحاشا

كلقي بك أن يداخله الجبن ، فأندم على فعل كان حميداً .
فتكة أعجلها الحق عن تقدير العواقب ، وصمت أبي
وكستني عاراً ، وتعلمين ما أثر اللطمة في النفس الكريمة ،
لحقتني ما لحقتني من الوصمة فبحثت عن مقترفها ، فرأيت
فانتقمتم لشرفي وشرف والدي ولو وجب أن أعاود
لعاودت ، على أن غرامي نازعني طويلاً فقاومت والدي
ونفسي في سبيل حبك ، وحسبك منه ، على جسامه تلك
المساءة ، أنه تركني حيناً أشاور نفسي في الاقدام أو
الاحجام ، فلما وازنت بين اغضابك او تحمل الشنار أيقنت
أن زندي سبق العذل^(١) بزماعه^(٢) ، وشكوت من حدة في
طبعي جازت مداها ، ولا شك أن جمالك كاد يرجح بكفته
في الميزان لو لم ادفع سطواته بما مرَّ في خاطري وهو أن
رجلاً عطيل من شرفه لا يكون لك أهلاً ، وان التي

(١) العذل : الملامة واعتذال الرجل على الشيء : اعترزم .

(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

أحبتني حراً كريماً ستبغضني جباناً لثيماً مع ما لي في قلبها
من المكنانة الرفيعة وانني لو أطعت هواك وصبرت على
الهوان لأصبحت غير خليق بعطفك ، وأخلفت بي حسن
ظنك .

أعود فأقول لك - وعلى ما بي من حزن وجزع -
سأعود وأقول لك الى آخر نسائي - انني أسأت اليك ،
وأكرهتُ على هذه الإساءة ، لأخو عاري وأكون أهلاً لك
فأما وقد وفيت دين الشرف ، وقضيت حق أبي ، فإنني
لمائل لديك متوخياً مرضاتك ، فقد سعت اليك لأقدم لك
دمي مؤدياً ما يجب كما أديت ما وجب .

ولعلمي أن أباً مات يستفزك للاقتصاص من ذنبي
أبيت أن أخبأ غريمك ، فأقدمي وضحي لدمه بدم فتى
يفاخر بأنه هو الذي أراقه .

شبان : آه... اني وان كنتُ عدوتك لا أستطيع ملامك ، لفرارك
من العار ، وعلى تنوع الألوان التي أذوقها من العذاب لا
أشكو منك بل أبكي لمصائبني .

اعرف ما كان الشرف ، وقد مسَّته تلك الشنعة ، يدفع
اليه قلباً تحتدم فيه الحماسة .

فأنت لم تفعل إلا ما يفعله الفتى الأبر، بيد أنك بجرصك
على واجبك علمتني الحرص على واجبي .

أقدامك المشؤوم، والنصر الذي أحرزته أدباني ، فقد
ثارت لأبيك وصنت شرفك ، ومثل ما عناك من أمرك
يعينيني من امري ، اذ ان لي شرفاً اصونه ، وأباً انتقم له ،
يا ويلتي ، ان حبي لك هو الذي يؤيسني في هذه المعضلة ،
ولو ان مصاباً آخرَ أيّمني لوجدت نفسي في سرورها
بلقائك سلوانها الأوحده، وعزاءها الأوفى ولهان عليّ العسير
من ألمي حين تمتد إليّ يد عزيزة وتكفكف عبراتي . ولكن
كُتِبَ عليّ ان افقدك بعد ان فقدته ، فكفاحي لغرامي
دين عليّ لشرفي ، وذلك الواجب الذي يؤدي بي أدأؤه
يضطرني الى العمل بنفسي على ثبورك .

فلا ترتقب من شغفي بك ان يعوقني عن أخذك
بجريرتك ومهما يشفع لك حيي فلا مناص لعزة نفسي ان
تكافىء عزة نفسك .

لقد أبديت بإساءتك إليّ انك جدير بي فحتم علي
وانا أطلب قتلك ان اكون خليقة بك .

دن لذريق : لا تؤجلني إذن ما يدعوك اليه الشرف ، فهو يطلب رأسي
وإنا أهبك إياه ، فاجعليه قرباناً لما يتخالفك من المأرب
السامي . يعذب لدي ورد الردى ، ويسهل عليّ حكمه ، أما
انتظارك بعد إجرامي الى ان يقضي القضاء فتقصير في
حق مجدك وإطالة لتعديبي ، وغاية سعادتني ان أموت بضربة
من يدك الجميلة .

شيان : إني لخصمك واست مجلاًّك ، تُقدّم لي رأسك وما عليّ
ان آخذه ، شأني ان أصوب اليه طعناتي ، وشأنك الذود
عنه وإنما أطلبه من غيرك لا منك ، عليّ مناجزتك ^(١) ،
وما عليّ عقابك .

دن لذريق : دعي شفاعة الحب فيّ لديك ، وارجعي الى كرم عنصرك
فأجزيني من نفسي ، يابى ذلك الكرم يا شياني ان تستعيري
ساعد غيرك للانتقام مني ، يدي هي التي أخذت بثأر أبي ،
وما أحرى يدك دون سواها ان تأخذ بثأر أبيك .

شيان : لك الله من قاس ، علامّ هذا الاصرار ، قد انتقمت بلا معين ،
وتعينني على الاقتصاص منك ، لأقتدين بقدوتك ولاصبرن

(١) ناجزه : بارزه ، وقاتله .

حتى أقاسمك فخر الانتقام ، لا أبي ولا ساعدي يقبلان
بفضل حبك او ياسك .

دن لذريق : واحر قلباه من خلاف رأيينا في أمر الشرف، الا أستطيع
- جاهداً ما جاهدت - ان أظفر منك بهذه المنة ، بحق
أبيك القتيل ، بحق ما بيننا من الوداد عاقبيني تشفياً ،
او عاقبيني رحمة واشفاقاً ، فإن عاشقك المنكود الطالع
ليؤثر الموت بيدك على البقاء وتبغضيه .

شيان : رُخُ فلست لك بكارهة .

دن لذريق : كان حقاً عليك ان تثقتيني .

شيان : ما بيدي .

دن لذريق : الاتبالين الملام وسوء المقالة ، اذ يعلم الناس بأن ذنبي اليك
لم يذهب بحبك لي ، ماذا تشيع عنك يومئذ ألسنة الوشاة
الحساد ، أكرههم على السكوت ، وتخلي عن الحوار ،
فانقذي سمعتك بقتلي .

شيان : ما ازداد إلاُ حسنَ أحدىثة^(١) بتركك حياً ، وبودي ان
يرتفع صوت النميمة من أعماق ظلماته ، فهو اذن سيرفع

(١) الأحدىثة : ما يتحدث به .

الى السماء كرامتي ، ويستلين - حتى الوشاة - لجزعي إذ
يعلمون انني أعبدك واستعدي عليك ، قَوْلٌ ووارٍ عن
عيني السخينة من الحزب ذلك الانسان الذي سافقده على
انتي أحبه ، أخرج في سرٍّ من الناس تحت الليل ، وحذار
ان يروك فيتجنّوا على شرفي وليس للسعاية نهزة تنتهزها
إلا ترخصي في لقائك هنا فلا تجعل لها سبيلا الى الريب .

دن لذريق : تبأ لي ا

شيان : اذهب .

دن لذريق : علامَ عزمتِ ؟

شيان : اني وان كانتُ شعل الغرام تشغلني عن حنقي ، سأبدل
ما في وسعي للأخذ بثأر والدي، ومع ما يقتضيني اداء هذا
الواجب من الصلابة ، فإن أمنيته الوحيدة هي ألا أقدر
على شيء .

دن لذريق : يا لأعجوبة الغرام ا

شيان : يا لنهاية البؤس ا

دن لذريق : ماذا سامنا أبوانا من العبرات والحسرات .

شيان : لذريق ، من كان يظن ما أفضينا اليه ؟

- دن لذريق : ومن كان يتنبأ ؟
- شيان : بان سعادتنا وهي على وشك إبرامها تنقضي .
- دن لذريق : وان أملنا على مقربة من الميناء، وفي تمام الصفاء يسطو عليه
عاصف مفاجيء فيحطمه .
- شيان : آه من الآلام المهلكة !
- دن لذريق : آه من عبث الأسف !
- شيان : اليك عني . اليك عني . لن أصغي اليك .
- دن لذريق : أستودعك الله . سامضي لأعاني حياة خيرٌ منها الحِمَامُ
ريثًا يسلبنيها القضاء بخصومتك .
- شيان : إذا تحقق مرامي فعهدي اليك انني لا أرضى بالبقاء بعدك
هنيهة . وداعاً . اخرج واحرص ان يراك أحد .
- الفيرة : سيدتي . مهما يُحِق بنا من الكوارث ...
- شيان : لا تزعجيني بعد ، دعيني أتنفس الصعداء ، إنما تعلتي
السكون ، وحاجتي الليل أبكي تحت أستاره .

المشهد الخامس

دن دياج

دن دياج : لن يتسنى لنا ان ندوق غبطة غير مشوبة ، ولا نتحقق
أمانينا إلا وتخالطها الكتابة ، فكلما واتتنا حوادث الدهر
تخللها من الموم ما يكدر علينا صفو مسراتنا .

قد تمت لي الهناءة وريب الزمان ينغصها عليّ . أسبح
في بحر من الابتهاج وأرتعد من الخوف . رأيت العدو الذي
أهانني قتيلاً ، وليس بوسعي ان أرى اليد التي ثارت لي منه ،
أبحث عن ولدي مُعملاً فكري في طلبه ولا أجده ، ومع
كوني متداعياً على حقوي أنشده في كل مظنة بالمدينة ، أذيب
ما أبقّت لي الأيام من الهمة الواهية في ابتغاء نظرة أنظرها
الى هذا الظافر ، في كل ساعة وفي كل مكان تحت هذا الظلام
الدامس أتخيل انني أعانقه فما أعانق إلا طيفاً ، فيخيب
أملي هذا التصوّر الخادع ، وتُخلّق فيّ أوهام تضاعف
وَجلي ، ولا أقف على أثر لفراره ، أخاف عليه من أصدقاء
الكننت وأتباعه فهم غير قليل وكثرتهم تبلبل ذهني . لنريق

إما قتيل واما سجين يا الله ... مخدوع بصري بما يلوح لي ،
او هو سليلي ووحيددي وأمللي أراه مقبلا . لا ريب انه هوه .
استجيبت أدعيتي وزالت مخاوفي وهدأت أشجاني .

المشهد السادس

دن دياج ، دن لذريق

دن دياج : لذريق . حمدأ الله ، ما كان أظماني الى رؤيتك .

دن لذريق : وأسفاه !

دن دياج : لا تمزج حزناً بسروري ، وامهلني حتى ينطلق لساني
بالثناء عليك ، فقد وقفت من البسالة موقفاً لا تنكره عليك
بسالتي ، وخذوتَ حذوي بجرأتك الباهرة . لقد بُعثَ
بك أبطالُ يباهي بهم محتدي^(١) ، منهم تحدرتَ ومني
تلقيتَ الحياة ، ضربة منك وهي الأولى عادلت جميع
ضرباتي ونمت عن صدق حميتك ، واتقاد عزيمتك ، فبلغتكَ
في أول بلاءٍ غاية شهرتي ، ياركن شيخوختي ويا ذروة

(١) محتدي : أصلي ، شرفي .

سعدى ، ألمس هذه اللمة البيضاء التي أعدتَ إليها كرامتها .
تعال قبَّل هذا العارض واعرِف المكان الذي نضحت عنه
فمحوت أثر الوصمة منه .

دن لدريق : ذلك الشرف اليك مرجعه ، انني كَسَلِيْلُكَ ورييب نعمتك
وما كنت لأفعل أقل مما فعلت ، فأنا مغتبط بما أرضاك عني
ويزيد اغتباطي ان ضربتي الأولى قد أعجبت من أحسن
الي بالحياة . ولكن أجز لي بين مسراتك - ولا تأخذك
الغيرة - ان أجسر وأنفس من كربتي ، وأذن ليأسي ان
ينطلق من مكنه ما جهدت في كلامك من تهوينه علي ، ما
بي من ندم على ما قدّمتُ من خدمتك ، ولكن أعد الي
النعيم الذي سَلَبْتَهُ مني هذه الفتكة ، تسلِّح ساعدي
لثارك ولم يعُقه غرامي ، فضرب الضربة وقد آب منها
بفخار ، ولكنه أودى بنفسي ، فلا تزدني حديثاً . قد
خسرت من أجلك كل شيء ، وكل ما كنتُ به مديناً لك
قد رددته عليك .

دن دياج : ارفع الي غاية أسمى ، آية ظفرك ، أعطيتك الحياة وأعدتَ
الي الشرف ، فبقدر ما يفضل شرفي الحياة عندي رجح
فضلك علي اليوم فضلي عليك بالأمس ، فأحر بك ان

تستأصل هذه النزعات الضعيفة من قلبك النبيل ، ليس لنا
الاشرف واحد . أما المعشوقات فما أكثرهن ، إنما الحب
متاع ولكن الشرف واجب مقضي .

دن لذريق : ويحي . ما تقول ؟

دن دياج : أقول ما ترغب في معرفته .

دن لذريق : أما كفاني ان انتقامي لشر في جاء انتقاماً مني حتى تسومني
تبدلاً في هواي، الخيانة في الحب من شيمة المحارب الرعديد
والعاشق الغادر، فلا تلحق بوفائي ظنة تمسه، واعتدني
كريم النفس ، ولا تسمني النكث بالعهد . لعلاقتي أمكن
من ان تنفصم بمثل ما تصف ، ولو فاتني فيها الأمل ، لكن
بذمتي مدعاة الى الحفاظ ، فاما وانا من هواي بحيث لا
أملك شيان ولا أطيق عنها صبراً، فقد أصبح الموت - وهو
مبتغاي - أخفّ آلامي .

دن دياج : لم يحن الوقت لتلتمس الحمام ، فإن عليك ووطنك في

حاجة الى ذراعك . الأسطول الذي ذاع نبأه قد دخل الميناء
متوهماً انه يفاجيء المدينة وينهب البلاد .

سيهبط المغاربة ويهاجمون اسوارنا بلا جلبة مستعينين

بمد البحر ومدّ الظلام . القصر في اضطراب والشعب في

هلع ، لا يُسمَع إلا صخب ، ولا يرى إلا دموع ، وفي هذه
الفوضى العامة أتاح لي التوفيق ان وجدت في بيتي خمسمائة
من أصحابي ، قدموا جميعاً حين علموا بما حلّ بي ، يحدوهم
الولاء ، ليعرضوا عليّ الأخذ بثأري ، على انك سبقتهم
ولكن سواعدهم الشديدة تؤثر الاضطباغ بدماء البربر ،
فامض وسر على رأسهم الى حيث الشرف يهيب بك ، ان
عصابتهم الكريمة لتأبى سواك زعيماً . اذهب وذد صدمة
أولئك الأعداء القدماء ، فإن أردت الموت فאלقه هناك كريماً
انتز هذه الفرصة وقد سنحت لك ، واقرض مليكك
سلامته بتهلكتك بل عد من ذلك العراك وعلى جبينك الغار
ولا يُقصرُ مجدك على الانتقام من اساءة ، بل توخَّ له غاية
أبعد ، وأكره بشجاعتك ذلك الملك على الغفران وشيأ
على السكوت ، وإذا كنت محباً لها ، فاعلم ان عودك
مستظهِراً هو الذريعة المثلى لتملّك قلبها . على ان الوقت
أعزّ من ان يضاع في الكلام . دعنا من الإطالة وطرّ الى
المعترك . تعال اتبعني . سر الى القتال وأرّ المليك ان ما
فقدته بالكنت يجده فيك .

الفصل الرابع

المشهد الأول

شيان ، الفيرة

- شيان : أليست اشاعة مكذوبة ؟ أنتت على يقين يا الفيرة ؟
- الفيرة : لا تكادين تصدقين ما بلغه من إعجاب الناس ، فهم بصوت واحد يرفعون الى السماء شهرة هذا البطل الفتى وفخر موافقه . لم يظهر المغاربة أمامه إلا ليوؤا بالفشل المحجل ، سرعان ما وفدوا وسرعان ما انهزموا . دام القتال ثلاث ساعات ، فتركوا لأبطالنا الكلمة العليا ، وخلفوا ملكين أسيرين ، وكان إقدام ذلك لا يدع عقبه إلا ذلها .
- شيان : ويد لذريق هي التي أتت تلك الآيات ؟

الفيرة : كان ذانك الملكان ثمناً لبلائه الحسن ، يده قهرتها ويده أسرتها .

شيان : من اين سمعت هذه الانبياء المدهشة ؟

الفيرة : من الشعب الذي يتغنى بشجاعته في كل مكان ، ويصفه بأنه موطن عزه ومجدد فخره ، ويدعوه بحارسه الأمين ومنقذه .

شيان : وماذا يرى الملك في هذا الإقدام الرائع ؟

الفيرة : لم يجسر لذريق ان يمثل في حضرته ، ولكن دن دياج سيقدم له الملكين الأسيرين ، وسيلتمس من سماحته وكرمه ان يتفضل ويأذن لحامي حماه بلقائه .

شيان : ولكن ألم يجرح في الكفاح ؟

الفيرة : ألم أعلم بشيء من هذا . أراك ممتعة الوجه . عودي الى رشبك .

شيان : ولأعد أيضاً الى حنقي الذي هدأت فورته ، فهل عليّ للاعتناء به ان أنسى واجبي ؟

يمدحونه ويحمدونه . قلبي عن ذلك راض ، وشرفي صامت ، وهزتي للواجب وانية .

فصه يا غرامي . دع غضبي يفعل أفاعيله ، لئن كان قد
أسر ملكين ، لقد قتل ابي . وهذه الثياب السوداء التي أقرأ
فيها آية يُتَمَي هي الهدايا الاولى التي أهدتها إليّ عزيمته
الماضية . ينعت الناعتون في الخارج قلبه النبيل .

ولكن كل شيء حيالي يذكرني جريمته .

ألا أيتها الأشياء التي تهيج في الضغينة من مقانع وحرير
وثياب هي زينة الحداد . وأنت أيتها الفاخر والمظاهر التي
تحدثها نصرته الاولى أديلي^(١) لمجدي من غرامي ، فاذا
غلبتني الصبابة على أمري فراجعني فكرك وأذكريني واجبي
الآليم واطعني غير هيابة موقع تلك اليد القاهرة من نفسي .

الفيرة : هدئي روعك ، قد وفدت بنت الملك .

(١) أدال الشيء : جعله متداولاً تعاقب به .

المشهد الثاني

بنت الملك ، شيان ، ليونورة ، الفيرة

بنت الملك : لست قادمة اليك لتسكين آلامك بل لأمزج زفراقي بزفراتك ، ودموعي بدموعك .

شيان : أحرى بك يا مولاتي أن تصيبي قسطاً من السرور العميم ، وأن تدوقي السعادة التي جاءتك بها العناية .

ما لغيري ان يحزن في هذا الوقت ، فقد استطاع لذريق ان ينقذنا من الخطر ، وردت عليك أسلحته أمن البلاد وسلامتها ، فانا وحدي اليوم يجوز لي ذرف العبرات . حمى المدينة وخدم مليكه ، ولم يكن بأس ساعده بؤساً على غيري .

بنت الملك : أي شياني ، في الحق إنه أتى معجزات .

شيان : لقد طرقت اذني هذه الأنباء المكدره ، وينتهي الى سمعي ما يذاع عنه في كل مكان من انه بالغ من السعادة في الحرب مبلغه من الشقاء في الحب .

بنت الملك : وماذا يسوءك من هذه الأحاديث الشعبية ، فإن البطل
الذي تطريه قد أعجبك من قبل ، وكان يملك فؤادك ،
ويعيش تحت أحكامك ، فالإكبار لشأنه إنما هو تشریف
لاختيارك .

شيان : لكلّ ان يشني عليه ولا حرج ، اما انا فأجد في ذلك الثناء
تجديد العذاب ، ويزداد الموض في نفسي بقدر ما يُعلون
من شأنه إذا قيس ما خسرت بمقياس ما له من القدر . ما
أنكا هذه الأشجان في لبّ الفتاة المتيمّة !

كلما ازدادت معرفتي بمناقبه ازداد شغفي به ، غير ان
واجبي ما زال هو الأقوى ، وسيتعقبه الى ان يأخذ لي حقي
على غرامي به .

بنت الملك : بالأمس رفعك هذا التشبث بهذا الواجب الى مقام عليّ وبدا
لأهل العصر من نبل مجهودك وحسن جهادك لنفسك ما
ملا قلوبهم إعجاباً بك ورتاء لصابتك ، ولكن هل لك ان
تنتصحي بنصح ودّي صادق ؟

شيان : من الإثم ألا أطيعك يا مولاتي .

بنت الملك : ما كان بالأمس حقاً ليس اليوم بحقّ . قد أصبح لذريق

سندنا الأوحـد ، واليه اتجه الهوى والأمل من شعب يعبده ،
فهو أمنٌ قشتالة وخوف المغاربة . للملك نفسه من عالى
الرأى فيه ما لأمته .

وكلهم يُجمع على حقيقة هي ان أباك قد بُعث فيه وحده
وإذا رغبت في بيان أصرح أوجزت لك بكلمتين : انك
بإصرارك على اهلاكه تهدمين سمعتك في البلاد، إذ يقولون :
أمن أجل الانتقام لأبيها تدفع باوطانها الى أيدي أعدائها ؟
أمشروع منك ان تطالبي بما فيه بوارنا ؟

وهل نحن ضربنا بسهم في الجناية عليك ؟ لا أزعـم انك
على هذا مضطرةٌ للاقتران برجل كنت تطالبينه بدم أبيكِ
بل أودلو استطعت ان أزيلَ من نفسكِ هذه المكابرة .
ذودي عنه غرامك ، ودعيه لنا حياً .

شيان : آه ! ليس من شأني ان أسعه برحتي، وليس واجبي بالطلب
الذي يحصره حيز . نعم ان قلبي يشفع لهذا الظافر وان لنا
شعباً يعبده ، وملكاً يلاطفه ، ولكنني لو أحاط به أبسل
الحاربين لأويتُ الى ظل السرِّو الذي أدفن فيه، وسودتُ
بعاره أكاليل غاره .

بنت الملك : انها لمكرمة منا ان نبغي الانتقام لأب نبرّ به ، فنطلب في ديته رأساً يعزّ علينا ، غير اننا نأتي مكرمة أسنى وأسمى عندما نبيح دمنا خدمة للأمة .

لا وصدقيني انك اذا أطفأت لاعج^(١) هواك، وسرحته من فؤادك عاقبته أشدّ العقاب ، لَيْسُ مَكَّ حَبْكُ لِلْبِلَادِ هذا التجاوز ومع ذلك ماذا تظنين ان يمنحك الملك ؟

شيان : له ان ينع ، ولكنني لا أستطيع الخنوع .

بنت الملك : فكّر ملياً يا شيان في شأنك ، أستودعك الله وأدعك تتروّين في أمرك على مهل .

شيان : بعد ان قتل أبي لا خيار لي في امري .

(١) اللاعج : الهوى المحرق .

المشهد الثالث

دن فرنان ، دن دياج ، دن ارياس ، دن لذريق ، دن سنش

دن فرنان : أيها الوارث الكريم لأسرة عريقة في المجد كانت وظلت
على الأيام فخراً وذخراً لقشتالة . يا خير سليل لأجداد
اشتهروا بإقدامهم .

لم يجُلْ جولته الاولى في مضارهم حتى بلغ شاوهم .

ليت لي من القدرة ما احسن به جزاءك .

وهيهات ان يفي ما لي من الطول بما لك من الاستحقاق .

ثنيتَ عن البلاد عدواً قويَّ الشكيمة ، وثبتَّ بيدك

صولجاني في يدي . دحرتَ المغاربة ولما يبدرُ مني أمر

بصدِّ هجماتهم وردِّ غاراتهم ، فلم تبقى تلك الهيمم لربِّ هذا

المُلك ذريعةً ولا أملاً ان يقابل احسانك باحسان . ولكن

ملكين أسرتها سيكونان ثوابك ، فقد دعواك في حضرتي

بالسيد والسيد في لغتها يعني الغطريف الصنديد ، فلن

أنفيسَ عليك شرف هذا اللقب .

كن منذ اليوم السيّد ، وليخضع كلُّ لهذا الاسم العظيم
وليغمر من الرعب غرناطة وطليطيلة، وليدلل جميع الذين
يشملهم سلطاني على ما انت به خليك، وما انا به لك مدين.

دن لذريق : ليتفضل جلالة مولاي ويقتصد في اخجالي ، انك لتسدي
إليّ من الثواب ما تقصر دونه خدمتي وتستحيني تجاه
هذا العاهل العظيم من قلة ما أجدر به من اللطاف ووفرة
ما يعطي ، وما انا من يجهل حق المُلك وحق سعادته على
الدم الذي يحر كني والهواء الذي اتنسمه . فلو وهبتها في
التماس ذلك المارب الأسمى لم أقم باكثر مما يجب على كلِّ من
التبع .

دن فرنان : ليس كل من يدعوه هذا الواجب الى خدمتي بمضطلع بها كما
اضطلعت ، ومُبدٍ من البسالة ما أبديت .

واذا الشجاعة لم تفضِ الى الافراط في المغامرة لم يُدرك
بها مثل هذا النجاح ، فلا يشقّ عليّ ان تمدح ، وصِف لي
بإسهاب ما كان من أمر هذا الفوز المبين على حقيقته .

دن لذريق : علمتَ يا مولاي حينما ألحَّ الخطر ، وألقى في المدينة من
الرعب ما ألقى ، ان عصابة من الأصدقاء التقت لدى والدي،

ورغبت إليّ في زعامتها على ما كان لي من الاضطراب
ولكن يا مولاي اغتفر لي بدءاً ان اجترأت على تسييرها من
غير اذنك فقد وضح عذري ، إذ كان الخطب داهماً ،
والعصاة متأهبة ، فلو جئت القصر لكان رأسي عرضة
للسقوط . ولما لم يكن لي بد من فقدته ، آثرت أن افارق
الحياة مجاهداً في سبيلك .

دن فرنان : اعذر زماعك في الانتقام لأبيك ، وهذا ملكي الذي سدت
ثغره يخاطبني في الدفاع عنك ، فأيقن أن شيان - قائلة
ما قالت بعد اليوم - لن تسترعي سمعي ، ولن أعمد إلا
تعزيتها . امض - في حديثك .

دن لذريق : سارت تلك العصاة تحت إمرتي وعلى وجوها آية ثققتها
بأنفسها . كنا خمسمائة فما حصلنا في الميناء حتى تمت عدتنا
ثلاثة آلاف من أناس رأونا نمشي الى الكفاح بتلك الوجوه
الصباح ، فعاودت الشجاعة من زاييلته منهم . خبات ثلثيهم
منذ أدركنا المرفأ في بطون المراكب التي كانت راسية ،
وأقررت الآخرين ومن توافد على الولاء من الأعوان ، فلبثوا
حيالي متحرّقين الى الصدام ، لاصقين بالثرى ، لا يسمع لهم

دويّ ولا ركز ، يربهم الهزيع تلو الهزيع من تلك الليلة الشائقة . كذلك توارى بأمرى العسس^(١) لازمين كمينهم لاستكمال الحيلة ، وفي كل ذلك زعمتُ انني تلقيت منك الأمر ، فامتثلته ونقلته اليهم جميعاً .

لم تعتم تلك الأنوار الضئيلة التي تتحدّر من الكواكب ان أرتنا ثلاثين شراعاً يقدمها مدّ البحر . طغى الموج تحت المراكب ورمى بالمغاربة والقوارب ، فتركتناهم يجوزون لا يتحرك منا ساكن ، ولا يبدو لهم حرسى في الميناء ولا جندي على أسوار المدينة . خدعهم صمتنا ، وانقطع الأنفاس ، فلم يشكّوا في انهم اخذونا على غرّة .

دنوا من البر بلا حذر ، وألقوا مراسيمهم وتدفقوا متراكضين - وما يظنون - نحو أيدي القناصة الراصدين ، فهببنا عندئذ إلباً^(٢) واحداً ، وقرعنا اسماعهم بالرف صوت جبير ، وصدعت عنان السماء صيحة رائعة ردّها رجالنا الكامنون في مراكبنا ، ثم اقبلوا مدججين ، فاختلط حابل

(١) العسس : الذي يطوفون بالليل يجرسون الناس .

(٢) إلباً : (الألب) القوم تجممهم عداوة واحد .

البربر بنا بلهم وأخذتهم الرعدة قبل ان يتم نزولهم وشعروا
بهلاكهم قبل المقاتلة .

أوضعوا وأخبّوا يبغون النهب، فإذا هم يلاقون تعبئة
حرب ، فأخرجناهم على الماء ، وزحناهم على البر ، وأجرينا
من دمائهم أنهاراً قبل ان يقاوم احدهم او يرجع الى صفه ،
غير ان امرأهم لم يلبثوا ان ضموا شتاتهم فبُعثت الشجاعة
فيهم ، وزالت مخاوفهم ، وغلب الحياء عليهم من لقاء الحما
قبل الصدام ، فتالفوا من اختلاط ، وراجعتهم بسالتهم ،
فصمدوا الينا بأقدام ثابتة ، وامتشقوا سيوفهم ودرّ من
دمائهم ودمائنا مزيج يعج متلاحماً ، فإذا البحر والنهر
واسطو لهم والميناء حومات^(١) المتناحرين ، تتبارى بينهم
المنايا .

شهد الله كم كرّ وكم اقدام لم يشهد رواتعها إلا الظلام .
إذ يفتك كل فاتك قدير ولا شاهد له الا نفسه وما يدري اي
منقلب ينقلب الجلاذ في عقباه . وكنت اتجه كل متّجه

(١) حومات : حومة القتال أو البحر أو الرمل معظمه ، حومة
الموت : هجومه .

مشجعاً رجالنا . ادفع اناساً آخرين وأسلك القادمين للنجدة
في الصفوف وأظاهرهم ثم أرمي بهم الى الأمام ، فلم أتبين
نتيجة القتال الا طلعة الفجر . تالق الضياء فكان الإقبال
في جانبنا ، ورأى المغاربة سوء مصيرهم ، ففتت في سواعدهم
وراعهم تقاطر الأعوان الينا في اثر الأعوان ، فغلب خوف
المنون على الرغبة في الاستظهار ، وتراجعوا الى مراكزهم
يقطعون مراسيها ، ويجارون جارات دوت أصداؤها في
الآفاق . ثم نكصوا على الأعقاب غير مبالين ما آل اليه
مليكانم المتخلفان ، صدفهم الهلع عن الصبر للواجب ، وكما
أدناهم المد من أقصاهم الجزر عنا ، على ان مليكيهم ظلا
مشتبكين بنا والى جانبها جنود متخنون جراحاً ، يكافحون
كفاح الصناديد ، ويبيعون أعمارهم بأعلى الأثمان ، فأهبت
بها غير مرة أدعوها الى التسليم ولكنها أبياه والسيفات
مصلتان ، حتى اذا رأيا فلول جيشها صرعى مجدلين ولبثا
منفردين لا يغني منها الجلد ولا المكابرة طلبا الزعيم .
فتسميت لهما ، فسما ، فسيرتها كليهما اليك في آن وانتهى
القتال بفناء المقاتلين .

على هذه الصورة تصدّيت للخدمة ...

المشهد الرابع

دن فرنان ، دن دياج ، دن لذريق
دن ارياس ، دن النس ، دن سنش

دن النس : مولاي ، شيان تلتمس المثل لعرض شكواها .

دن فرنان : خبر سيّء وواجب ثقيل !

انصرف ، لا أريد إكراهها^(١) على رؤيتك ، ويتعين عليّ
بدلاً من الشكر ان أقصيك الآن عن حضرتي ، ولكن قبل
ان تخرج تعال ليُقبلك الملك .

(دن لذريق يخرج)

دن دياج : شيان تتعقبه وتود نجاته .

دن فرنان : قيل لي انها تهواه ، وسأختبر هواها ، أرها عيناً مكتتبه .

(١) أكره فلاناً على الأمر : حمّله على أمر يكرهه .

المشهد الخامس

دن فرنان ، دن دياج ، دن ارياس ، دن سنش ، دن النس ، شيان ، الفيرة

دن فرنان : لك البشرى وان أبطأت يا شيان ، فقد نجح الله قصدك وقضى لك وطراً . انتصر لذريق على أعدائنا ، ولكنه توفي تحت بصرنا من أثر الجراح ، فاحمدي الله الذي أدال لك (إلى دن دياج) انظر كيف شحب لونها لهذا النبأ .

دن دياج : وانظر كيف أخذتها الغشية من شدة هواها ، ثم اعجب يا مولاي من ظاهر الغم عليها ، قد هتك حزنها سرائرَ نفسها ، ولم يترك لك ريباً في هيامها .

شيان : أمات اذن لذريق ؟

دن فرنان : لا . لا . إنه ما زال حياً ، وما زال محتفظاً بعهده ، مقيماً على وده ، فرقى عنك ، ولطفني من جزعك عليه .

شيان : مولاي، يُدار بالمرء من الفرح كما يدار به من الترح ، وفرط الجذل إذا فاجأ النفس ملك عليها حواسها ، وأوهى شغاف القلب .

دن فرنان : ترومين يا شيان تصديق ما تكذبه شهادة العيان وقد ظهر عليك الآسى باجلى مظاهره .

شيان : ايه يا مولاي ، أضف هذا الظن بي الى شدة تعسي وهب الغاشية التي غشيتني جزعاً عليه فإن حزني - ولي فيه كل العذر - قد أرابكم في كنه أمري، وإنما فجعني نعيه لسقوط رأسه في غير وتري ، ولأنه لو أودت به جراحه في سبيل البلاد لفسد انتقامي وأخفقت مساعي . تلك ميتة كريمة أراها غير عادلة في حقي، اما التي أريدها له فميتة لا يصحبها فخار ، ولا تحيط بها أبهة ترفعه الى أعلى النرى ميتة تدركه لا في ميدان الشرف بل على المقصلة^(١) . فليُقتل من أجل أبي لا من أجل الوطن ، وليكن اسمه ملوثاً وذكراه مشينة . اما ضيعة العمر من أجل الوطن فليست بغبن بل هي الخلود في أبرع صورة للفناء ، فخليق بي ان اعتبط بانتصاره، ولا جناح عليّ ، اذ انتصاره يعزّ الدولة، ويردّ على غريمي عالي القدر في الرجال، مرفوع الذكر في الأبطال، متوجّ الرأس

(١) المقصلة : آلة للاعدام قوامها سكين تسقط على رأس المحرم فتقطعه .

لا بالأزهار ولكن بالغار ، أليق ما يكون قربانا لبقايا والذي
يا ويحي لقد أبعدت مرمى أملي . هل على لذريق بأس يخشاه
مني وما عليه من دموع إنما تزري على ذرافها .

قد أصبح أملكُ بأسره مأمنا له ومعنصما ، وكل حرام
عاد له مباحا تحت سلطانك ، استظهر عليّ كما استظهر على
الأعداء ، وأراق من الدماء الزكية ما شرف به العدل حتى
اختلف ، فلم يكن جزاء المنتصر – على جرائمه – إلا حلية
جديدة أضيفت إلى حلاه وزينة ذات بهارج ، مشينا فيها
بكره الانصاف وراء مركبة الظافر يحفّ بها ملكان أسيران .

دن فرنان : يا ابنتي جاوزت الحد في سورة غضبك ، اما موقع الأحكام
فشأنه ان يزن القضايا بميزان النزاهة .

قُتل أبوك إلا انه المعتدي ، وتلقاء ذلك يأمرني العدل
بالرحمة فشاوري قلبك قبل ان تتهميني في ما بدا مني ، ولا
جرم انت الغرام الذي تنضم عليه جواحك يحمده المليك
لإبقائه على عشيق لك ، ناهيك به من عشيق .

شيان : أبسبي تبقي على عدوي ، على مثير حنقي ، على مسبب
مصائبي ، على قاتل أبي ؟ انك لا تقدرُ مسلكي القويم قدره

وتحسبني شكوراً لإعراضك عن ظلامتي .

فأما وأنت لا تُشكينني مما أشكو اليك بدموعي ،
فأذن يا مولاي أن أُلجأ الى السلاح ، هو بالسيف ألحق بي
العار وأنا بالسيف أتقاضى الثأر ، اني لأطلب رأسه من
جميع فرسانك . اجل ، ومن جاءني به كنت له حليلة ،
فليبارزه يا مولاي، فمن انتقم لي من لذريق رضيت به قريناً .

دن فرنان : تلك العادة القديمة التي اصطلح عليها قومي ، وزعمهم انها
تأخذ للمظلوم من الظالم ، تضعف الدولة ، وتحرمها خيرة
أبطالها ، على انه يغلب من جرّاء هذه العادة الذميمة أن
البريء يهضم ، والأثيم يعظم ، فانا أعفي منها لذريق وهو
أكرم عليّ من تعريضه لتصاريف لا تؤمن بدراتها . لئن
يكن لذلك القلب النبيل ذنب لقد ذهب به المغاربة وهم
منهزمون .

دن دياج : مهلاً مولاي ، أمن أجله وحده تغيّر شرعة جرى عليها
اهل البلاط قديماً وما فتئت مرعية . فما يظن شعبك وما
يقول الحساد اذا اطاع لذريق نبيك وارعى على حياته ،

واتخذ منه عذراً ليكون بمفازة^(١) حين يخوض اولو الشرف
والإباء غمار الحومات في التماس ردى كريم؟ ان مثل هذه
المحابة لتمسه في مجده مساً مبرحاً ، فدعه يتذوق ثمرات
فوزه بلا تنغيص . قد اعتدى الكنت على ابيه فتولى عنه
جزاءه ، وأبلى في لقاءه بلاء الباسل ، فليكن باسلاً الى
النهاية .

دن فرنان : إجابة الى طلبك آذن ان يبارز ، ولكنه قد يغلب واحداً
فيحلّ ألف محله ، لأن وعد شيان يستعدي عليه فرساني
بأسرهم ، فليس من العدل تصديّه وحده لهم جميعاً . وحسبه
ان يدخل في نزال واحد .

اختاري يا شيان من تشائين ، واحسني اختيارك ،
فاذا انقضى هذا الكفاح فلا تسأليني مزيداً .

دن دياج : لا تجعل أمرك هذا عذراً لتبجح^٢ الذين يخشون بأسه . ودع
الميدان مفتوحاً . اذن لا يدخله احد ، فبعد الذي أبداه
لندريق اليوم ، من القرم^(٢) العنيد الذي ينبري له ؟

(١) مفازة : منجاة ، مفلحة .

(٢) القرم : السيد العظيم ، وقرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

من الذي يغامر بحياته في لقاء قرن مثله ؟

من يكون ذلك المقدم او ذلك الجسور ؟

دن سنش : مروا بفتح الميدان . أنا ذلك المقتحم . أنا ذلك الجسور أو

ذلك المقدم . جودي بهذه المنّة على من يشتعل قلبه بهواك ،

وتذكري ياسيدتي وعداً أستنجزه .

دن فرنان : شيان ، أتجعلين قضيتك بين يديه ؟

شيان : مولاي ، سبق الوعد .

دن فرنان : تاهب لغد .

دن دياج : لا يا مولاي ، لا يحسن الإرجاء ، والشجاع الحق يكون على

أهبة في كل آن .

دن فرنان : أخرج من جهاد ، ويدخل في جلاذ على الأثر ؟

دن دياج : قد استجمّ لذريق مدة ما قصّ عليك الواقعة .

دن فرنان : فليسترح ساعة او اثنتين ، وحذار من ان يعدّ هذا البراز

قدوة يقتدى بها ، ليعلم كل قاصٍ ودان انني بغير رضي

أبحث أمراً لا يليق بي .

فلن أشهد هذه المكافحة ولن يشهدا رجال قصري .

(الى دن ارياس) أنت وحدك تحكم في أي المتبارزين أبسل

وتحرص أن يتصرف احدهما تصرفاً يباه الكرم ، فاذا انتهى النزاع احضر إليّ الغالب أيهما كان ليصيب الجزاء الموعود ، اريدان أقدمه لشييان بيدي ، فتكافئه بالمعاهدة على القران .

شيان : رحماك مولاي ، أتلزمني هذا الحكم القاسي .

دن فرنان : تشكين ، ولكن حبك ينكر عليك الشكوى ويقبل بلا إكراه لتدريق اذا عاد ظافراً ، فدعي التأفف من حكم يستعذبه قلبك .

وأي النيدّين عاد منتصراً سأجعله لك قريناً .

الفصل الخامس

المشهد الأول

دن لذريق ، شيان

شيان : أنت يا لذريق ، وفي راتعة النهار ، أنسى لك هذه الجرأة ؟
اذهب أو تفقدني شرفي . انصرف عني ، أبتهل اليك مستعطفة .

دن لذريق : أنا ذاهب الى الموت يا سيدتي ، وقد جئتك في هذا المكان
لأودّعك آخر وداع قبل ان أتلقى الضربة القاضية . وان
هواك لأثبت في فؤادي من أن أرى الردى ، ولا أجعله
لك فدى .

شيان : أتمضي الى الموت ؟

دن لذريق : سأبادر الى تلك الهنيئة الهنيئة ، أقدم فيها حياتي لشقاء
أحقادك .

شيان : تمضي الى الموت ! أترى في دن سنش من شدة البأس ما يحدث ذعراً في قلب لا يقهر ؟ ماذا أوهنك الى هذا الحدّ او ماذا قوّاه الى هذا الحدّ ؟

ألدريق يذهب للنزال فيتوهم انه قتيل ولما يُقتل ؟
أذاك الذي لم يخشَ المغاربة، ولم تاخذه الرهبة من أبي يمضي للقاء دن سنش فييأس قبل مظنة اليأس ؟
وعلى هذا فقد تكون حالة ينخلع فيها قلبك .

دن لدريق : أبادر الى العذاب لا الى القتال ، وصدق هوايَ لك قد أزال ولا ريب من نفسي أدنى رغبة في بقائي حين تطلبين مماتي. قلبي هو هو ، ولكنني لا ساعد لي أحفظ به ما لا ترضين عنه. في الليلة البارحة أوشكت ان ألحقَ بالفارين لو كانت المناوأة في شأن لي ، فاما وقد كنت أذود عن ملكي وشعبه وبلادي فقد خشيت ان أخونهم بسوء الدفاع عن نفسي ، وفي قلبي من الكرم ما لا يبغض الحياة عليه الى حد ان يخرج منها وقد اقترف غدرًا .

اما الآن والمسألة لا تعدو مصلحتي بانفرادي ، فانت

تتقاضين موتي ، وانا أمتثل لقضائك ، وقد تقاضاك الحق
الى إيثار يد غيرك - اذ لم أكن خليفاً ان أموت بيدك -
فلن أصد عني ضربات ذلك الخصم اذ هو أحق ما أراه
برعايتي لأنه يقاتل في سبيلك ، وأجذل ما أكون لعلمي ان
ضربات آتية منك ، وان سلاحه يشهر في سبيل شرفك .
وساكشف له صدري لا يقيه مجن . وساعبد في يده يدك
التي تُودي بحياتي .

شيان : إذا كان واجبي الأليم، وقد أثار بي غضباً مشروعاً وحداني
على هذه الخصومة ، قد حكم هذا الحكم القاسي على حُبِّكَ
لي ، فحال دون ذودِكَ عن نفسك من هجوم المطالب
بحقي ، فلا تنسَ في هذه الضلالة التي غشَّت على بصرك
ان الخطب لا يقتصر على حياتك بل يتناول مجدك . وان
حسن سمعتك بالغاً ما بلغ في أيامك لن يدفع قول الناس
اذا قُتِلتَ انك غُلبتَ ، ولا جرم ان شرفك أحب
اليك مني ، اذ انه غمس يديك في دم ابي ، وجعلك على
هيامك بي تؤثره على قربي ، وما زلت - كما أرى - لا
تحسب لهذا الشرف ادنى حساب ، فتأبى ان تُحسن البلاء

في القتال ، وترضى ان يُنسال منك ، فاي تباين في الخلق
يوهي عزّة نفسك ، وعَلامَ تخلّيتَ ؟ او علامَ تخلّيتَ بها
قبلاً . عجباً ! ألسنتُ أسداً الاّ عليّ ؟ فإذا خلا النزال من
اساءة اليّ . فارقتك البسالة .

ايهون عليك والدي وانت غالبه ، فتستسهل بعده
ان يغلبك احد . امض غير مصرّ على الموت ، ودعني
اتعقبك . وان لم تكن راغباً في البقاء فلا يفتك النضح
عن شرفك .

دين لدريق : بعد مقتل الكنت واندحار المغاربة أيتطلع مجدي الى المزيد ؟
لي ان أهمل الدفاع عن نفسي بعد ان شهدت مواقفي
بكفايتي لكل عظيمة ، ومضائي في كل مهمة ، وبانه ما من
شيء تحت السماء يعزّ عليّ اكثر من شرفي .

لا لا . والامر على غير ما تتوهمين ، يقضي لدريق في
هذا النزال موفور الكرامة ، لا يجرؤ احد على اتهامه في
شجاعته ، ولن يُعدّ مغلوباً ، ولن يعرف له غالبٌ . وإنما
سيقول القائلون : « كان يعبد شيان ، فلم يرض بالعيش وهي

عليه حانقة ، فاستسلم مختاراً لأمر التصارييف ، وقد أبت هذه على معشوقته الا ان تبغي هلاكه ، أرادت رأسه فأوحى اليه قلبه النبيل انه إذا ضنَّ به عليها أذنب اليها ، فلإنقاذ شرفه أضع غرامه . وللأخذ بثأر مُتيمته وهب عمره ، لم يكثرث للأمل يخامر نفسه المشغولة بها ، وآثر شرفه على شيان وشيان على حياته . وهكذا ستعلمين ان منيتي في هذا الثقاف^(١) لا تشوب مجدي بشائبة بل تزيد سطوعاً ، ولي شرف آخر يعقب موتي الطوعي ، وهو انه لم يكن في وسع آخر سواي ليرضيك .

شيان : اما وليس لحياتك ولا لشرفك نهي عليك ، ولا أمر في الاستبسال ، فإذا كنت قد هويتك يا حبيبي لذريق ، فاجعل عوضي من هذا الحب ان تذود عن نفسك لتنقذني من دن سنش . قاتل لتحررني من رق من لا أحب . أأزيدك على ما قلت : اذهب ، ونازل ، وفر لتغلبني على واجبي ، وتكرهني على الصمت ، وإذا كنت تشعر بان قلبك ما

(١) الثقاف : الخصام .

زال مشغوفاً بي فاخرج ظافراً من نزال جزاؤه شيطان ،
أستودعك الله . هذه التي بدرت مني يندى لها جبينني .

دن لذريتي : أيّ عدو لا أكبح اليوم جماحه ا

تعالوا يا أهل نافر والمغرب وقشتالة وفرسان اسبانيا
وصناديدها أجمعين ، تالبوا إلباً^(١) واحداً ، واجمعوا جيشاً
عمرماً لتقاتلوا ساعداً مسلحاً بمثل ما سلح به ساعدي .
ضموا أشتات قواكم في وجه امل عذب كأملني ، فبا والله
تكفون بأسركم لتنالوا منه منالاً .

(١) إلباً : القوم تجمعهم عداوة واحد .

المشهد الثاني

بنت الملك

بنت الملك : أأظلم مصغية اليك يا حرصي على محمدي ، وأنت تعد عليّ
الحب ذنباً؟ أأستمع لك يا غراماً يهيج بسلطانه الموموق^(١)
أمانني نفسي ، ويستعديها على ذلك المستبد العاتي . مسكينة
أيتها الأميرة ، أي الداعين يجب أن تجيبي ؟

لذريق ، ان اقدمك يجعلك اهلاً لي ، ولكنك على
بسالتك لست بسليل مليك ، يا للدهر الغشوم يفرق بين
مجمدي وصبابتي . أكان في الظن ان غرامي برجل لا كفل
له في الرجال يسوم مهجتي أشجاناً كهذه الأشجان .

وارباه ! كم من زفرة يجب ان يتها قلبها لتصعيدها
اذا فاتني بعد هذا العذاب المديد سلو^(٢) يخمد لوعتي ، او

(١) موموق : محبوب .

(٢) سلا الشيء : طابت نفسه عنه ونسيه .

قرب بيرد غلّتي ، ولكنني افرطت في احترازي ويأبى
ضميري ان يضع موضع الزراية فتى بلغ ذلك المبلغ من
الكفاية .

نعم ، ان نسبي يخص بي الملوك دون سواهم ، غير
انتي يا لذريق اعيش هانئة تحت ولايتك ، وهل بعد
اتتشارك على ملكين يفوتك ان تصبح رب تاج . أوليس
اسم السيد الذي لُقت به ، وانه لعظيم ، دالاً بلا مرأى على
من يليق ان تبسط سلطانك عليه ، هو اهل لي ولكنّه
لشيمان . وهبته لها هبة عاد عليّ ضيرها ، على ان قتله ابها
لم يُثر بينها من البغضاء إلا النزر اليسير بحيث أن واجب
الأخذ بالثار يتعقبه أسفاً فلا تنتظرن ثمرة وان قلت من
جرمته ومن شغلي به اذ ان القضاء لم يرق لي ، وأعلى كلمة
الغرام على الرغبة في الانتقام .

المشهد الثالث

بنت الملك ، ليونورة

بنت الملك : علامَ جئت يا ليونورة ؟

ليونورة : جئت لأهنتك يا مولاتي بعود الصفاء الى نفسك .

بنت الملك : ومن أين يأتي الصفاء في هذا الكدر الشديد ؟

ليونورة : اذا كان الهوى يجيا بحياة الأمل ، ويموت بموته ، فقد بطل

سحر لذريق وبريء قلبك من رقاہ ، فذلك النزال الذي

حنته اليه شيان على أن يقتل فيه ، او يغدو بعلاها قد

أودى بأملك ، ولكنه شفى نفسك .

بنت الملك : آه ! دون ذلك مدى قذْف^(١) .

ليونورة : أبقى لك فيه مطمع ؟

بنت الملك : بل أي مطمع تحظرينه علي^٢ وفي وسعي أن أكيد كيدي

(١) القذف : البعید .

لخيبة الأمل الذي تعلّل به في ذلك النزال، وما أكثر الحيل
التي يوحىها الغرام الى عقول العشاق الذين كابدوا تباريحهم .

ليونورة : ما الذي تستطيعينه ، وقد عجز مقتل ابيها عن إيقاد
جذوة الشقاق بين قلوبها ، وشيان تبدي في سيرتها اليوم ،
غير متورعة ، أن البغضاء ليست السبب في خصومتها ،
فقد فازت بإباحة القتال ، ورضيت من اجل عاشقها بأن
تكون زوجاً لأول من يُقدّم لها . لم تلجأ الى سواعد مدربة
قوية أصلبتها المعارك الشهيرة المتعددة ، واجترأت بدن
سنس دون سواه لأنه سينتضي السلاح لأول مرة، استجبت
منه انه عادم الخبرة لم تسبق له شهرة بالجلاد ، فأوردته بلا
حذر ورد الأريب^(١) في عقباه. وذاك عمل ليس مرماه بسرّ ،
فهي إنما آثرت هذا النزال ليقوم معه عذرها في مخالفة ما
يجب ، هيأت به للذريق نصراً ميسوراً حتى اذا احرز
تظاهرت بالانضواء لأمر القضاء .

بنت الملك : لحت هذا ، سوى أن قلبي ينافس شيان في عبادة ذلك

(١) الأريب : الماهر .

الظافر ، فاي شطر ترين ان اولي وجهي ، وأنا العاشقة
المنكودة ؟

ليونورة : تذكري ، جهديك ، بنتُ من انت . اذا وعد الله لك ملكاً
أفتشغلين قلبك بمن دونه مقاماً ؟

بنت الملك : قد تغير مرمى غرامي ، فما شغفي بلذريق من حيث لا
يعدو الرجل النبيل ، كلا ويعينه حبي ان اسميه بهذا الاسم ،
ان اهوى إلا صاحب الملاحم المرفوعة الذكر في الأنبياء ،
الشجاع الملقب بالسيد ، الذي اصبح من اتباعه ملكان . على
انني سأتغلب على نفسي ، لا خشية الملام ، بل صوتاً لغرامي
من شبهة تعلق به . فلو انهم اصطنعوني ، وزانوا لي مفرقه
بالتاج لأبيت أن آخذ اليد التي اعطيت واذا كان محتوماً له
الفوز في عقبى ذلك النزال فلنمضِ ولنهبه مرة اخرى
لشيان .

أما أنت التي رأيت مواقع السهام من قلبي ، فتعالني
واشهدي كيف أتم ما بدأت .

المشهد الرابع

شبان ، الفيرة

شبان : الفيرة ، ما أشد ألمي ، وما أجدرني بالثناء ، لا أعرف
ما ارجو ويلوح لي كل ما أخشى . تبدر مني الأمانى ، فما
أجسر ان أتمناها وما أبتغي من شيء إلا والندم العاجل
لزامه .

دفعت متناظرين في حبي الى امتشاق الحسام ، وأيهما
أفلح أجرى سخين دمعي ، ومهما يكن من ترقب ذات الغيب
فإني بين خطبين : ابي ولم ينتقم له ، او عشيقى وقد قتل .

الفيرة : بل أجد ان احدى العاقبتين ستخفف من برحائك^(١) . فاما
لذريق تفوزين بقربه ، واما ثارك تدركينه . ومهما يكن
من تصرفات الدهر في أمرك ، فهو اما يؤيد مجدك او يهب
لك حليلاً :

(١) برحاء : الشدة والأذى .

شيان : واعجباً ! اذلك الذي أمقته ام ذلك الذي أطالبه بوتري^(١) ؟
أقاتل لذريق ام قاتل أي ؟ أحدهما يجعل لي قريناً وأتلقاه
مخضّباً باكرم دم علي^{*} . تشور نفسي من كلا الجانبين وما
أخاف الموت كما أخاف عقبي هذه الخصومة .

يا انتقامي ويا حبي ، اليكما عني ، فقد قذفتما في روعي
بلبالاً لا تعادله لذة تستفاد منكما .

وانت ايها المحرك التقدير لما أشكو من تصاريف المقادير
أختم هذا البراز لا تعلق فيه كلمة ند على ند ولا يكون فيه
غالب ولا مغلوب .

الفيرة : لو أستجيب دعاؤك لعدت أشد بؤساً ، ولقيت من جراء
هذا النزال عذاباً جديداً . لخير لك من ان تطلي بعده
مهضومة الحق مهتاجة بما يساورك من عوامل الحقد، مطالبة
من غير هواده بموت من تحبين ، لخير لك يا سيدتي ان يعود
لذريق وافر العزة بما أوتيه من الباس متوج الرأس فتنزلي
كظيمة الغيظ على حكم النزال ، ويكرهك الملك على إدراك

(١) وترى : الانتقام ، الظلم .

ما تشتهين .

شيان : أجدك ! إذا فاز فهل تظنين انني أستسلم ! لواجبي اسمي
وخسارتي أعظم من ان يتقيدا بحكم السيف او بأمر الملك .
يقدر لذريق على قهر دن سنش بلا عناء ، ولكنه لا يقدر
على المساس بمجد شيان ، ولست أبالي وعد الملك له . فإن
صدق عزيمتي في الذود عن شرفي يجد له ألف عدو .

الغيرة : احذري ان يحاسبك الله على هذه الكبرياء فيأذن ان ينتقم
لك دن سنش . يا عجباً ! أتظلين ترغبين عن السعادة ،
وتأبين ان يتسنى لك الامتثال مع سلامة الشرف ، ماذا يريد
هذا الواجب ، والى ابن ينتهي أمله ! أموتِ عشيقك يبعث
أبوك حياً ؟ أقليل عليك ان تصابي برزء واحد ؟ وهل
تلتمسين غبناً فوق غبن ، وحرناً فوق حزن . انك مع
مجاتك لطبعك على ما يشاء من التبديل والتحول ، لا
تكونين جديرة بالعاشق الذي يبتغونه لك قريناً ، وقد نرى
من سخط القدر - إذا استجاب لك - آية تذهب بلذريق ،
وتدع لك دن سنش بعلاً .

شيان : حسبي يا الفيرة ما أكابد من نوازع النفس ، فلا تضاعفها
بهذا التنبؤ الويليل . أبغي لو استطعت ان أخلص منها
كليها ، وإلا فان آخر دعائي ان يظفر لذريق في هذا
النزال لا لأن فرط الهيام يمنح بي الى جانبه ، ولكن خشية
من مآلي الى دن سنش . ومن هذه الخشية تتولد امنيتي .
واشقتواه ! ماذا أرى ؟ الفيرة ، قضي الأمر .

المشهد الخامس

دن سنش ، شيان ، الفيرة

دن سنش : بكرهي ألقى على قدميك هذا السيف .

شيان : ويلاه !! السيف المخضب بدم لذريق ؟

أيها الغادر أتجرؤ ان تظهر امام عيني بعد ان حرمتني
أحبّ شيء لدي . أمط نقابك يا غرامي فما عليك اليوم من
باس . رضي أبي وحسبك تكتماً . ضربة واحدة أمنت

شرفي ، وأياست نفسي ، وأطلقت صابتي من سجن
صدري .

دن سنش : هدئي جاشك .

شيان : أتخاطبني بعد ؟ أيها القاتل البغيض لبطلِ اعبدِه ، اذهب
فقد أخذته غيلة، ومثل ذلك المغوار الصنديد ما كان ليقتل
بيد مبارز من طرازك. لا تُنط بي أملاً ما ، ولا شكر على
خدمتك ، فلئن زعمت انك انتقمت لي لقد أزلت حياتي .

دن سنش : ما اغرب هذه الفورة التي تُصمّها عن سماع ...

شيان : أتبغي ان اسمع منك كلمات الفخر والتباهي ، وأن أصبر
على ما تذكره ، في قحة وخيلاء ، من وصف صرعته
وجريمتي وشجاعتك .

المشهد السادس

دن فرنان ، دن دياج ، دن ارياس ، دن سنش ، دن النس ، شيان ، الفيرة

شيان : مولاي ، برح الآن الحفاء بعد طول المجادلة ، ولات حين
كتان . كنت أهوى وتعلم سريرتي . غير انني صممت على
اباحة ذلك الرأس العزيز ، للأخذ بشار أبي ، وقد رأيت
بعينيك يا صاحب الجلالة كيف أذلت غرامي لواجبي ،
فالآن مات لذريق وموته حولني من عدوة شديدة الى
عاشقة مدلهة^(١) .

كان هذا الانتقام ديناً عليّ لبري بوالدي ، وهذه
العبرات اليوم دين عليّ لهواي . قضى عليّ دن سنش
بتوليّه الذود عني ، أفأكون الجزاء لذلك الساعد الذي
أودى بي؟

فيا مولاي، اذا كان للشفقة أثر في نفس ملك، فرحماك،
وانقض ذلك العهد الذي أبرمته بكرهي، وقده مني مكافأة

(١) دله : ذهب قلبه من هم ونحوه .

على قتله عدیل روحي ان أتخلى له عن كل ما لي . فليخلني
ونفسي اعتزل الدنيا في دير مقدس ، وأبكي الى آخر نسمة
من حياتي أبي وحبيبي .

دن دياج : انها لمحبة يا مولاي ، ولا ترَ جناحاً عليها ان تعترف
بغرامها المحلل .

دن قرنان : شيان ، عودي الى نفسك . لم يميت صاحبك ، وإنما غلب
دن سنش ، ولم يصدقك النبأ .

دن سنش : مولاي ، إنما خدعتها سورة نفسها ، فقد جئت من الميدان
عقبى النزال ، وكان ذلك البطل الكريم الذي يتم فؤادها
قد قال لي عندما أسقط السيف من يدي : « لا تخشَ نكراً
سأدع النصر لالك ولا عليك ، ذلك خير من ان أريق دماً
عُرِّض في سبيل شيان، وبما أن واجبي يدعوني الى المثول
لدى الملك فاذهب اليها واخبرها بما جرى ، وألقِ على
قدميها حسام الظافر » . فبادرت اليها يا مولاي ، ولكن
رؤية السيف أطارت لبسها . ظننتني أنا الفائزة إذ رأتهني
عائداً ، وفاض غضبها بما كشف عن سريرتها ، فتكلمت ،

وقد ثارت نائرتها ووهى جلدّها ، ولم تمكني من الافضاء
بكلمة اليها . على انني وان كنت قد غلبت ، أراني مغتبطاً ،
ومع ما يملاً جوانحي من الهيام بها ، ومع ما بؤت به ، وقد
خسرتها ، من فشل لا يدرك مداه لست أقلّ فشلي في جلاذ
كان من مغبته هذا الفوز الباهر لذلك الهوى الطاهر .

دن فرنان : يا بنيتي لا ينبغي أن تخجلي من مثل هذا الوفاء في الحب
ولا ان تعمدي لإنكاره وان دعاك اليه الخفر . مجدك مصون
وشرفك سليم . وأبوك راضٍ يكفيه منك انك للأخذ
بثاره ، عرّضتِ لذريق غير مرّة للهلكة . فقد رأيت
كيف يتصرف الله بغير ما ننوي ، وقد فعلت كل شيء
لأبيك ، فافعلي شيئاً لنفسك . لا تعصي ما أتقدم به اليك
وتقبلي مني زوجاً تحبينه ذلك الحب .

المشهد السابع

دن فرنان ، دن دياج ، دن ارياس

دن لذريق ، دن النس ، دن سنش ، بنت الملك ، شيان ، ليونورة ، الفيرة

بنت الملك : كفكفي دموعك يا شيان وتلقي بلا حزن هذا الغالب
الكريم من يد أميرتك .

دن لذريق : لا يسؤك يا مولاي ان اجثو على قدميها في حضرتك إطاعة
لغرامي . لست ، يا سيدتي ، بموقفي منك الآن مطالباً
بجزائي، بل انا آت مرة اخرى لأقدم لك رأسي غير متذرع
لديك بحكم المليك، ولا بشرع النزال ، فإذا كان كل ما عمل
أقل مما يجب لو الده، فقولي بماذا أستطيع ارضاءك. أتريد ان
اصارع ألفاً بعد ألف من الشجعان، وأن أتبسط في فتوح
الى أقاصي الدنيا ، وان أقتحم بمفردي معسكراً ، وأهزم
جيشاً ، وان أبزّب ببعده شهرتي أبطال السير . فإن كان
ذني يغسل بتلك الفعال اضطلعت بكل امر جسم وأتيت
بكل عجب عجاب . اما اذا كان ذلك الشرف السنّي غلة

لا تُبرّد إلا بوفاتي ، فلا تسلّحي علي بعدُ يدَ إنسيّ . بل
هذا رأسي على قدميك فانتقمي بيديك . ويداك وحدهما
حقيقتان بقهر من لا يقهر . خذي من الثأر بما لا يستطيعه
سواك ، وعندئذ ليكفك عقاباً لي ان يضحوا ظليّ . فإن
أبعدُ ، فلا تزيدني بالسلوّ بعداً ، وإذا ما أتاح لك موتي
صيانة لمجدك ، فاجعلي جزائي الاحتفاظَ بذكراي ، وقولي
احياناً في أسف عليّ : لولا هواه لما جاد بحياته .

شيان : انهض يا لذريق . انني لأقرّ يا مولاي ان ما قلته اثبت من
من ان استطيع له تقضاً . هيهات ان اقدر على مقت لذريق
وفيه تلك الفضائل . ومتى امر الملك وجب الامتثال . بيد
انه مهما يكن الامر الذي تسومونني ، فهل بوسعكم ان
تشهدوا مثل هذا الزواج ؟ وإذا ألزمتوني من الاذعان ما
يأباه واجبي افيُمضى بذلك العدل كل العدل . ان اصبح
لذريق حاجة للدولة فهل تعين علي ان اكون الجزاء لما يفعله
في سبيلكم ، وان أعرض نفسي لتأنيبِ سرمدي على تخضيبي
معصمي بدم والدي .

دن فرنان : كثيراً ما جرى ان الزمان هوّن ما كان صعباً ، وأحلّ

ماُعدّ حراماً . قد كسبك لذريق ويجب ان تكوني له :
ولكنني على ما ثبت من حقه لا اقف منك موقف غير
المكترث ، لما يوجبه سناء مقامك ، ولا اتعجل في منحه
ثمرة انتصاره ، فإذا ارجىء القران فلا مخالفة ، والحكم
لزواج لم يقيّد بميقات ، فلك مهلة سنة تكفكفين فيها عبراتك
وانت يا لذريق عليك في هذه المدة ان تحمل السلاح . دحرت
المغاربة على شواطئنا ، وعكست عليهم مراميهم وأبطلت
مساعدتهم ، فاذهب الآن اليهم في نفس بلادهم وشنّ عليهم
الغارات مؤمراً على جيش ، موكلاً بإنزال الثبور في
اعدائي ، ففي اسم السيد كفاية بإلقاء الرعب في قلوبهم ،
وقد دعوك مولى فربما ارادوك ملكاً . ولكن الزم الوفاء
لشيان اثناء صولاتك^(١) العظيمة . ثم عد ، اعادك الله غانماً ،
اولى بها مما كنت ، اعلِ ذكرك وضاعف شأنك بحسن
بلاتك حتى يصبح من الفخر لها يومئذ ان تقترن بك .

دن لذريق : من اجل الظفر بشيان والقيام بخدمتك ايُّ امر ، وان
جل ، يتعذر عليّ إنفاذه ، ومهما يشق عليّ بعدها عن عينك

(١) صولة : السطوة ، المقدرة .

فحسبي يا مولاي ان امسي على أمل من رضاها .

دن فرنان : نط املك بشجاعتك ، وكنه الى وعدي ، فاما ومكانك
اعز مكان في قلب شيان ، فخير حل لعقدة الشرف التي
حالت بينكما ، ان تدع الزمان يفعل فعله ، وان تعتمد على
شجاعتك وعلى مليكك .

سلسلة المسرح العالمي

تعريب خليل مطران

شكسبير :

تاجر البندقية

ملت

عطيل

مكبث

كورنابي :

السيد

بوليوكت

سنتا

فكتور هيغو :

هرناني

تعريب أديب اسحاق

راسين :

أندروماك

شارلمان



quantization of the Alexander 10 17
1990-1991. 10/19/1991

المعهد العربي للدراسات والبحوث

بيروت - لبنان

هاتف ٨٨-٢٦٩

سلسلة المسرح العالمي

تعريب خليل مطران	شكسبير	تاجر البندقية
تعريب خليل مطران	شكسبير	مكبث
تعريب خليل مطران	شكسبير	هملت
تعريب خليل مطران	شكسبير	عطيل
تعريب خليل مطران	كورناي	بوليوكت
تعريب خليل مطران	كورناي	السيد
تعريب خليل مطران	كورناي	سنا
تعريب خليل مطران	فيكتور هيغو	هرناني
تعريب اديب اسحاق	راسين	أندروماك
تعريب اديب اسحاق		شارلمان

توزيع دار الجليل